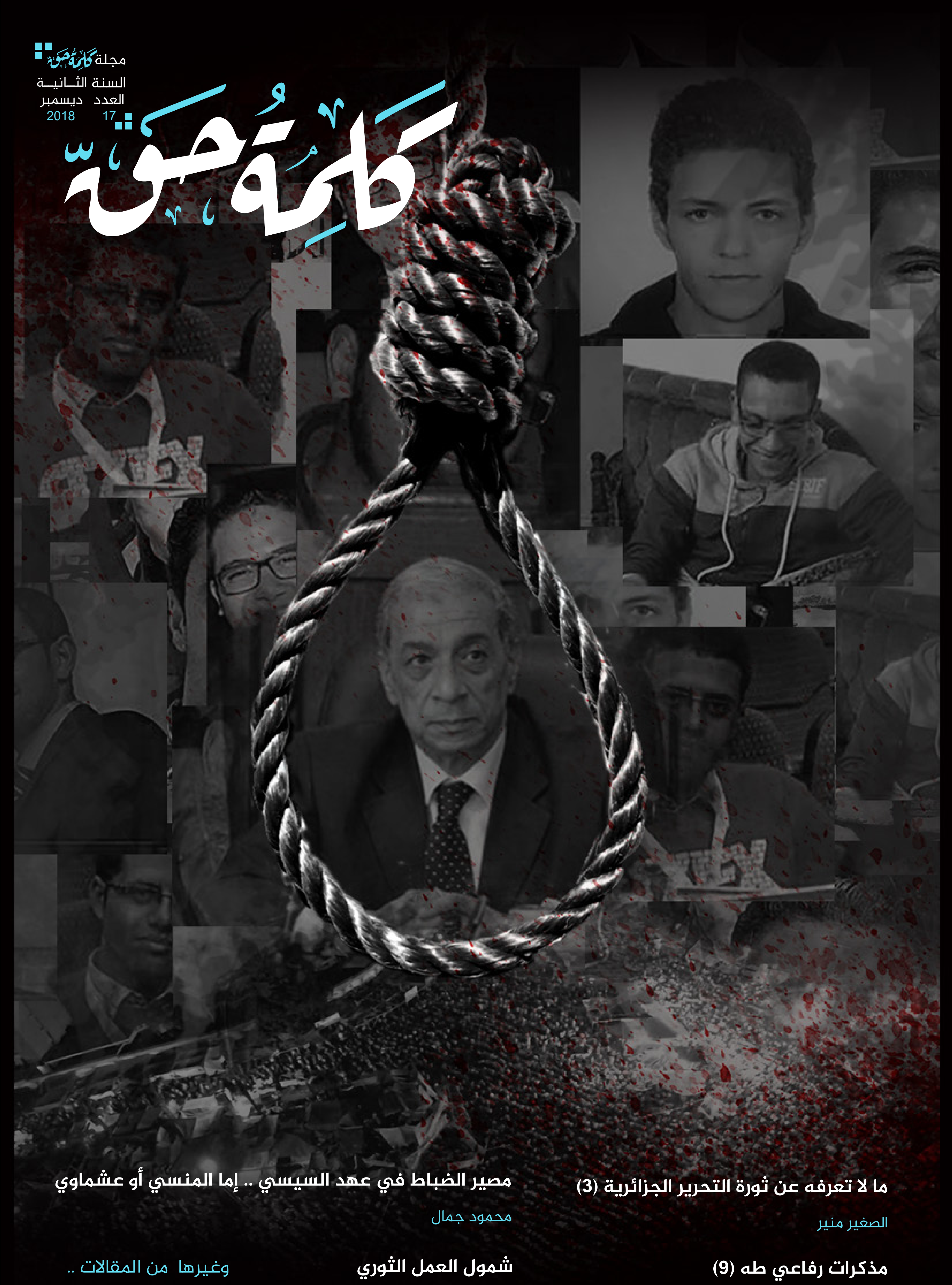
مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 17 ديسمبر 2018

كلمة حق



مصير الضباط في عهد السيسي .. إما المنسي أو عشماوي

محمود جمال

ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية (3)

الصغير منير

شمول العمل الثوري

حامد عبدالعظيم

مذكرات رفاعي طه (9)

محمد إلهامي

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

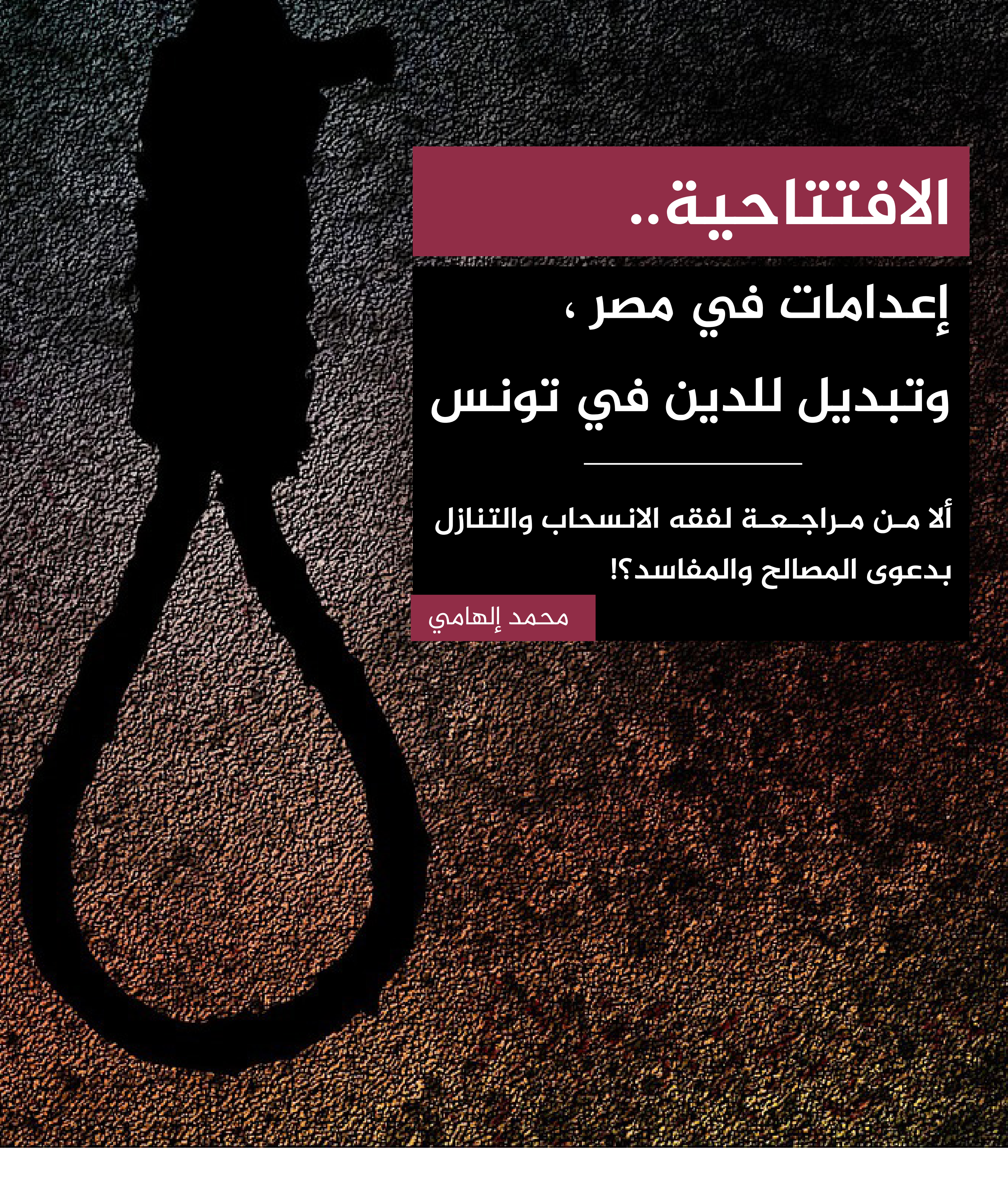
السابع عشر ، ديسمبر 2018



klmtuhaq
www.klmtuhaq.blog
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم



الافتتاحية..

إعدامات في مصر ،

وتبديل للدين في تونس

ألا مـن مـراجـعـة لفقه الانسحاب والتنازل بدعوى المصالح والمفاسد؟!

محمد إلهامي

أكثر الأسئلة التي كان يطرحها الإعلام العلماني على أي سياسي إسلامي: ماذا ستفعلون في النساء العاريات على الشواطيء، في النساء غير المحجبات واللاتي لا يردن أن يرتدين الحجاب، في مصانع ومحلات بيع الخمور، في السينما والمسرح، في رياضات السباحة وفن الباليه... وهكذا!

"في المقابل فإن سائر الإجابات التي يبذلها الإسلاميون في هذه الأبواب تفيد بث الطمأنينة لهذه القطاعات، حتى إن أكثرها وضوحاً و"تشدداً" هي الإجابة التي تتحدث عن التدرج والرفق في تغيير هذه الأمور، وتتفق الإجابات الإسلامية على أن هموم الأمة أوسع وأكبر من هذه الأشياء، هموم في الاقتصاد والسياسة والطاقة والتعليم. وبالرغم من هذا فإن الحملات الإعلامية العلمانية وحديث المثقفين العلمانيين يأخذ هذه الصورة: هؤلاء خطر على الحريات، هؤلاء خطر على الفن والثقافة والسياحة والرياضة والمسرح، هؤلاء لا يفكرون إلا بغرائزهم ولا ينتبهون إلا للمرأة وحجاب المرأة ويتركون هموم الوطن الاقتصادية والإنتاجية والتعليمية، هؤلاء طلائع الظلام القادم من العصور الوسطى الرجعية!"

ثم حين يكون العلماني في موقع السلطة، بانقلاب أو توريث، مدعوم بالدول الأجنبية بطبيعة الحال، فإنه لا يفعل شيئاً في أبواب الاقتصاد والسياسة والإنتاج والطاقة والتعليم، أبداً.. بل هو يتوجه من ناحيته لمحاربة دين الناس وعقيدتهم وأخلاقهم، لا حرية متاحة إلا حرية الانحلال والإباحية، ولا تقدم إلا على مستوى انتشار الخمور والفجور، ولا قوانين تصدر إلا التي تزيد من سطوة الحاكم العلماني وهيمنة الأجنبي ومحاربة الدين. وها هو الباجي قايد السبسي لم يجد شيئاً ينبغي أن يُهتم به سوى إصدار قانون يُسَوِّي بين الرجل والمرأة في الميراث رغم امتلاء تونس بالمشكلات! ومع هذا فالنخبة الثقافية العلمانية بامتداد العالم العربي لا تحدثه عن هذه المشكلات المزمنة بل تصفق له على هذه المشكلة الجديدة التي يصنعها في بلده.

هذه هي أولويات العلمانيين..

وإنها لأولوياتهم منذ وُجِدوا في بلادنا، فهم أبناء الاستعمار الأجنبي وربائبه، وما كان لهم أن يصلوا إلى السلطة ويحكموا إلا بقوة الاستعمار المسلحة ودعمه، وبقدر ما أنهم رسَّخوا وعَمَّقوا ما نحن فيه من التخلف على سائر المستويات بقدر ما أنهم نشروا في بلادنا الكفر والانحلال والتهتك.



المشكلة الحقيقية أن كثيراً منا لا يفهمون ذلك، يرونهم شركاء الوطن لا صنائع الاستعمار، يحسبونهم أصحاب فكر مختلف لا أصحاب عداوة أصيلة، يتوهمون أن هدفاً مثل "تقدم الوطن" أو "استقلال الوطن" يمكن أن يجمع بيننا وبينهم. بعضنا جاهل بهم وهو جهل فادح فاضح لا يُعذَر صاحبه به، وبعضنا من ضعفه وعجزه يريد أن يتوهم هذا لئلا يواجه الحقيقة التي تزيده شعوراً بحجم التكاليف والمسؤولية، وبعضنا من أخطائه وفشله وخياناته أيضا يُسَوِّق هذا الوهم لئلا يقال عنه: أخطأ وفشل وخان.

هؤلاء الذين هم منا، هم من يجبروننا على إعادة التكرار والثرثرة في الكلام المعروف المملول عن عداوة هؤلاء وكونهم صنائع الاستعمار وممثلو مصالحه في بلادنا.. أولئك يقطعون الطريق حول تطور الكلام والأفكار لتبحث في "كيفية التخلص منهم" لنظل نراوح مكاننا في إثبات أنهم خصوم وأعداء.

وهم من ناحيتهم لا يُقَصِّرون في إظهار عداوتهم، فما إن تلوح لهم فرصة حتى تكون منازلنا بين القبور والسجون والمنافي، بين من قضى نحبه ومن ينتظر، من لم يمُت بالرصاص مات بالتعذيب، ومن لم يمت بالمشنقة مات من أمراض السجن، ومن لم يمت بهذا كله مات بباب من أبواب الفساد الذي ينشرونه في بلادنا: تحت ركام عقار بُني بخلاف مواصفات الأمان، أو حَرقاً في قطار، أو غرقاً في سفينة، أو تحت عجلات سيارة على الطريق العام.

"إن أي حساب لتكلفة بقاء هذه الأنظمة على أمتنا سيؤدي مباشرة إلى نتيجة تقول: إن كل فوضى ناتجة عن الثورة عليهم وإسقاط أنظمتهم هي بكل تأكيد أهون وأقل ضرراً، فحجم ضرر هذه النظم على الأمة لمدة ستين سنة لا يمكن حصره، بينما لا يمكن أن تستمر فوضى في مكان ما لستين سنة مثلاً، الناس يستطيعون تدبير أمرهم وحكم نفسهم والتكيف مع أوضاعهم أفضل كثيراً من حالهم تحت أنظمة قاهرة تتفنن في قتلهم وسلب أموالهم وتمكين الأجنبي في بلادهم."



وقد ثبت من سيرتهم التي كتبوها بدمائنا، ورسموها بسياطهم فوق لحومنا، أنهم لا يؤمنون بشيء، إذ ليس من مبدأ أو قاعدة يمكن التفاهم معهم عليها، لا هم يؤمنون بالديمقراطية ولا بالحريات العامة ولا بحق الشعب في المتابعة والمراقبة فضلاً عن المحاسبة.

فمن هاهنا كانت لحظات الثورات العربية لحظات فارقة ذهبية لقلب هذا الوضع، والتخلص من هذه الأنظمة، ذلك أن الشعوب لا تنفجر متى أردنا ذلك، بل ولا تزال تحير علماء الاجتماع في تحديد توقيت وأسباب انفجارها، إلا أن أولئك الجاهلين المغفلين منا سارعوا لامتصاصها وتبريدها، بل وظفت الأنظمة بعضاً منهم لتداركها قبل وقوعها، حدث هذا في مصر وتونس والمغرب واليمن والأردن.

في تلك البلاد، كان الإسلاميون وسيلة امتصاص وتبريد الثورات وتداركها، رغم أنهم أكثر الكاسبين من نجاح الثورات، وأول الخاسرين إذا أخفقت، بل هم من قبلها مضطهدون ومن بعدها مضطهدون. فالإسلاميون في اليمن هم من شلُّوا حركة الثورة وأدخلوها في دهاليز اللقاء المشترك والمبادرة الخليجية وترتيبات المبعوث الأممي حتى أكل الحوثي اليمن، وقد كانوا قادرين -فقط لو تجاسروا وقرروا أن يُجَنِّبوا اليمن مصيره المريع الذي يلقاه اليوم بين طرفين مجرمين: الحوثي ممثل إيران، مقابل السعودية والإمارات، ولا يدفع الثمن إلا أهل اليمن.

”والإسلاميون في المغرب قبلوا أن يشاركوا مشاركة شكلية في الحكومة التي هي بلا صلاحيات ليكونوا درع القصر في الالتفاف حول الثورة الوشيكة، وليكونوا أيضاً سيفه في طعنها والقضاء عليها في مهدها، وقد فعلوا، ثم وجدوا أنفسهم بلا صلاحيات ولا قدرة، بل إذا نجحوا فالمدح متجه لجلالة الملك وإذا فشلوا فالسب والشتم متوجه إليهم! ومثل هذه التجربة تقال عن الأردن أيضاً مع تغيير تفاصيل غير مؤثرة!“

"والإسلاميون في مصر كانوا الأسرع إلى تهدئة الشارع وتبريد الثورة، ولولا ظهور شخصية ثورية مثل حازم أبو إسماعيل مع وجود رغبة دولية في "تجريب" الإسلاميين في الحكم لكانت قد تكررت تجربة **١٩٥٤** بحذافيرها، لكن هذه المتغيرات أفسحت المجال لسَنة في السلطة منزوعة الصلاحيات، ومع هذا فإن أداءهـم في هذه السنة كان أداء من امتلك الدولة وسيطر عليها، فسيطر عليهم الحرص على الدولة ومؤسساتها وتغييب الشعب عن الصراع الدائر في الدهاليز بل والحرص على تهدئته وتبريد روحه الثورية، فكان أن انقلبت هذه الروح الثورية بفعل مؤسسات الدولة وإعلامها لتكون ضد الإسلاميين أنفسهم، لم يفكر أولئك في مواجهة هذه الدولة العميقة لحظةَ أن كانوا قادرين ووراءهم ثورة شعبية رفعتهم -رغماً عنها- إلى السلطة، كما لم يفكروا في مواجهتها وهم مهددون، ثم لم يفكروا في مواجهتها بعد الانـقـلاب.. حالة عجيبة من حـالات الانكسار النفسي والهزيمة المعنوية! وصار الذي هتف **"سلميتنا أقوى من الرصاص"** نزيلاً في الزنزانة بتهمة الإرهاب! "

تجربة تونس فريدة جداً في بيان نكبتنا ونكستنا العربية الإسلامية، وواحدة من أهم الشواهد الضخمة المنتصبة على ما نحن فيه من التيه. يقولون عن راشد الغنوشي مفكر، رغم أن سلوكه السياسي نموذج من السذاجة والضعف والارتباك ثم الفشل. ولا يمكن تفسير مساره إلا أنه آمن بالديمقراطية أكثر من إيمانه بالله وبكتابه وبرسوله، فإن كلام الله وسيرة رسوله ضد الغنوشي على طول الخط.. والغنوشي الذي تأسف قديماً وأدان الحركة الإسلامية لأنها لم تهتم بعلوم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد ظهر أنه لم يعتبر من هذه العلوم ولم يستفد منها شيئاً!

فمختصر مسار حركة النهضة التونسية أنها لم ترد إقامة الإسلام الذي هو مبرر وجودها كحركة إسلامية فتنازلت عن كل تأسيس إسلامي في الدستور أو هياكل الدولة، بل ولا احترمت الديمقراطية كوسيلة لبيان إرادة الشعب التي رفعتها إلى السلطة فتنازلت عن السلطة، إنما احترمت رغبة الأقوياء وهم في أشد حالات ضعفهم، في لحظة الثورة وسمَّت ذلك **"البحث عن التوافق، الصيغة المشتركة للتعايش..."** ونحو هذه الألفاظ النخبوية السفيهة الكفيلة باستجلاب الهزيمة في أي لحظة صراع فارقة. فانتهى هذا إلى أنها أسلمت الثورة إلى نظام (بن علي) نفسه مرة أخرى، وبشرعية كاملة، وهي الآن لا تملك أن تحمي نفسها من أن تنزل نفس السجون إن

قررت السلطة أن تفعل هذا. وبالموازاة مع هذا كله أسهلت حركة النهضة التنازل عن الإسلام وتكييفه وتأويله وتطويعه وتعديله ليتفق مع رغبات الحداثة الغربية العلمانية الغالبة. ثم لا يأتينا من الغنوشي إلا مقالات تبريرية وتراجعات وتعديلات على أفكاره القديمة حتى صار الغنوشي نموذجاً مثالياً للتأصيل **"الشرعي"** للعلمانية!

سيقولون: كل هذه البلاد وفَّرت على نفسها الصراع والدماء الذي انطلق في مصر وليبيا وسوريا.

ونقول: الاستسلام حلٌّ يجيده كل أحد، ويملكه كل أحد، ولا يُعدَّ ذكاء ولا حكمة أنك تنسحب من المعركة، تنسحب منها في أفضل فرصة ممكنة (فرصة ثورة شعبية).. ولا يُمدح أحدٌ بأنه انسحب من كل معركة فوفَّر على نفسه وجنوده الحياة! هذا يسمى انسحاباً واستسلاماً وضعفاً وجبناً ويسمى أيضاً خيانة!.. ولا يُعدّ الانسحاب حكمة إلا من قائد تتواصل انتصاراته لكنه انسحب من واحدة أو اثنتين لظروف رآها، أما من يقضي حياته في الانسحاب وتجنب المعارك فلا يسمى حكيماً بل جباناً!



نعم، مرسي لم يكن رئيساً جيداً، لم يخض المعركة بحقها في الوقت الذي كان الشعب فيه معه، لكن صمود اللحظة الأخيرة هو ما جعل صورة الحق والباطل واضحة في مصر حتى الآن، وهذا ما يُحسب له، لا يزال السيسي عسكرياً منقلباً.. بينما لا يستطيع أحد أن يقول مثل ذلك عن السبسي في تونس! فإنه يتمتع بشرعية كاملة!

وهكذا ماذا تكون الثورة قد حققت من النتائج، إن نحن أخذت حركة النهضة بناصيتها فأعادتها إلى النظام القديم ومعها الشرعية التي تنقله من مغتصب إلى ديمقراطي؟! هذا مع أنه لا ضمانة أبداً أنه سيحترم هذه الديمقراطية ولن ينقلب عليها، إذ لسنا نعرف من أخلاقهم ولا من أخلاق داعميهم الإيمان بالديمقراطية، كما ليس بأيدي النهضة والغنوشي من الضمانات الواقعية والاستعدادات العملية ما يجعلهم يتخوفون من الانقلاب على الديمقراطية.

إذا أردنا إجمال الحقائق في عالم البشر والسياسية فسيكون من بينها هذه الأمور:

(١) لا تنهض الأمم إلا حين تمر بمخاضات عسيرة مؤلمة تفقد فيها كثيراً من الخسائر حتى يتحقق لها التحرر والاستقلال، الذي يؤهلها لتكون قوى كبيرة وعظمى فيما بعد.

(٢) الاستبداد المعاصر هو صنيعة الاحتلال، والاحتلال داعمه وكفيله، فمعركة التصدي للاستبداد الداخلي هي جزء من معركة التحرر من الاحتلال الأجنبي، وهؤلاء الحكام وهذه الأنظمة ليسوا مجرد وطنيين وقع بيننا وبينهم الاختلاف في الرأي والنظر وطريق النهضة، بل هم وكلاء الاحتلال الذين يحاربون هذه البلاد وأهلها أشد مما كان يحاربها أسيادهم.

(٣) ليس من مستبد ولا محتل يرحل من مكانه ويفرط في سلطانه لمجرد احترام الرغبة الشعبية، بل لا يرحل مستبد ولا محتل إلا كارهاً مقهوراً مجبراً بعد استنفاد وسائله في التشبث والبقاء.

(٤) الثورات لحظات فارقة ونادرة ولا تتكرر كلما شئنا.



حين يفقد العلماء وقادة الحركات الإسلامية الوعي بهذه الأمور وتنحصر رؤيتهم في حقن الدماء "هنا" و"الآن" فإنهم لا يصنعون خيرًا للبلاد والعباد، بل على العكس، هم يسلمونها لحقبة قادمة بعشرات السنين لا تحصى فيها الخسائر من الدين والدماء والأموال والهيمنة الأجنبية والتخلف العلمي والحضاري. ومن هنا فإن إفشال الثورات بتبريدها وتسكينها وتخديرها قبل تحقيق التمكين الحقيقي لممثلي الشعب وهم في بلادنا الإسلاميون ليس إنقاذاً للأوطان من الفوضى، بل هو إنقاذ للأجنبي من الورطة التي قد تنفجر في وجهه وتُخرجه من البلد.

وحينئذ فالموازنة بين المصالح والمفاسد لا ينبغي أن تكون مقتصرة على اللحظة "الآن" والمكان "هنا"، بل ينبغي أن تتسع لتشمل المستقبل الذي نعرفه بخبرة الماضي وأن تتسع بحجم الأمة لنرى كيف يمكن أن يؤثر الاستسلام هنا أو الانتصار هنا على الأمة كلها في معاركها الدائرة شرقاً وغرباً. وساعتئذ سنرى أن احتمال الألم في المخاض حتى الاستقلال والتحرر من الاستبداد والاحتلال أهون كثيراً كثيراً من أخذ جرعة المخدر اللحظية الـمُسَكِّنة والتي سرعان ما تنتهي لنجد ألماً طويلاً مستمراً لا ينتهي أيضاً إلا بمخاض آخر تكاليفه أشد وأقسى!



سل الذين مَكَّنوا لعبد الناصر في مصر حين لم يواجهوه أول أمره: دماء من حقنتم؟! ودماء من أرقتم؟!.. وهل كانت مواجهة عبد الناصر قبل أن يستبد ستؤدي مهما بلغت تكاليفها إلى هذه النكبة التي نحياها ستين سنة؟!

ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية (3)

تسليح الثورة.. البدايات والمآلات

الصغير منير



لا يمكن لأي ثورة أيا كانت دوافعها وغاياتها أن تنجح بلا مال. فلا سلاح بلا مال، ولا غذاء للجيش ولا وقود للعربات ولا دواء بلا مال. بل لا يكاد يكون هناك شيء ذو بال له علاقة بالعمل العسكري بدون مال. ويستوي في ذلك الجيوش القديمة والحديثة، بل حتى حين كان الجهاد تطوعاً في غالبه إبّان تاريخ المسلمين في عهد النبوة والخلافة الراشدة كانت الجيوش تحتاج إلى المال، ومن هنا جاء حضّ القرآن على الإنفاق في سبيل الله والإشادة بالمنفقين في الجهاد، وفي السيرة من القصص والحوادث ما يثير الإعجاب والحيرة أحياناً من مستوى البذل والعطاء الذي عرفه مجتمع الصحابة، تجلّى في تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك من طرف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كان التحدّي الأكبر أمام قيادة الثورة الجزائرية هو توفير السلاح، ولم يكن هناك جهة أو دولة قبل الثورة تهب السلاح دون دفع ثمنه أو حتى من أجل تحقيق أهداف سياسية أو عسكرية، ولم يكن المخططون للثورة ليجازفوا بالكشف عن الساعة الصفر لانطلاق الثورة التي لم يعلم بها الغالبية المطلقة من المجاهدين الذين نذروا أنفسهم لتفجيرها إلا أياماً أو أسابيع قبل انطلاقها.

البدايات: المنظمة الخاصّة

أما قبل الثورة ومنذ تأسيس المنظمة الخاصّة عام ١٩٤٧ من طرف حزب الشعب لتكون ذراعاً عسكرياً ضارباً في وقت الحاجة إليه؛ فقد كان المال الذي اشترى به السلاح كلّه من اشتراكات أعضاء الحزب وأعضاء المنظمة الخاصة، وبعض السلاح كان من بقايا الحرب العالمية الأولى والثانية خاصة السلاح الألماني والإيطالي.

اشتري أكثر السلاح من ليبيا ودخل الجزائر عن طريق المهرّبين. وكان أعضاء المنظمة قد تمكنوا من الحصول على بعض الذخيرة التي تركتها القوات الأمريكية بعد إنزالها في الجزائر.

وقد كان لعملية بريد وهران وغنيمة أمواله دور فعّال في توفير ميزانية سدّت ثغرة كبيرة في تدبّر أمر السلاح، فلم يكن أعضاء الحزب ولا المنظمة من ذوي الثراء أو الأعمال والوظائف التي تمكنهم أن يتحصلوا على المال الكافي لتسليح ثورة أو منظمة تحضّر لثورة.

لقد كان ما تحصل عليه المجاهدون من ليبيا يقارب أو يفوق ٣٠٠ قطعة بين بندقية ومسدس ورشاش، كما جُمع في الشمال ما يقارب ١٠٠ قطعة بين مسدس ورشاش وقنابل يدوية.

ولم تكن الأسلحة التقليدية المصنوعة محلياً غائبة عن تسليح المنظمة الخاصة برغم أن المصادر لا تذكر شيئا كبيراً عنها، مثلها مثل الأسواق والمناطق التي كانت معروفة ببيع السلاح سرّاً، وكان أكثر السلاح الذي يُباع في الأسواق هو بنادق الصيد.

وكانت المتفجرات التي استطاع أعضاء المنظمة الحصول عليها غالبيتها معدّ للمحاجر من أجل تفجير المناجم أو تفجير بعض الأماكن لشق الطرقات وغيرها، وهي مثل السلاح بعضها اشتري بطريقة غير قانونية وبعضها عن طريق التهريب أو السطو على مخازن الشركات التي تمتلكها.

كما أن أعضاء المنظمة الخاصّة استطاعوا الحصول على بعض أجهزة الإرسال والإشارات أو الملحقات الإلكترونية المتعلقة بها شراء أو عن طريق غنيمتها؛ كما حدث في معامل الطيران المدني بعين البيضاء قريباً من العاصمة.

وأمام اشتغال حزب الشعب بمصاريف أنشطته السياسية والتكفّل بعائلات المسجونين، لم يكن أمام المنظمة الخاصة خيارات وبدائل كثيرة. من أجل ذلك كان من القرارات المهمة التي اتخذتها قيادة المنظمة إلزام كلّ عضو بالحصول على سلاحه الخاصّ وبطريقته الخاصة سلباً أو شراءً أو تهريباً.

وقد كانت بنادق الصيد متوفرة بكثرة في الجزائر، خاصة في القرى والأرياف والبوادي، ولكن لم يكن أبداً متاحاً جمعها أو الحصول عليها في وضع كان يبدو مستقراً وطبيعياً لا تشوبه أي اضطرابات أو أحداث تعكّر صفوه. وقد كان هذا الهدوء قبل الثورة خاصّة بأشهر مهماً جداً لمفجري الثورة والمخططين لها، حتى لا يستنفر الاحتلال قواته وأجهزته الأمنية للتتبع والتقصي لو كانت هناك أي مؤشرات توحي بأن شيئاً ما يُدبّر أو يُخطّط له في السرّ.

" لم يكن تخزين السلاح يطرح مشكلة كبرى بقدر ما كان يطرحها أمر تأمينه. وقد نجح أعضاء المنظمة في إخفاء أعداد كبيرة من قطع السلاح والذخيرة ولم يُعثر عليها إلا بعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة واعتقال وتعذيب أعضائها. "

لقد كاد اكتشاف المنظمة أن يقضي على كل أمل في استمرار التحضير للثورة والعمل المسلّح. لقد اعتقل ٥٠٠ عضو أو أكثر من أعضاء المنظمة، وتم تفكيك عد كبير من شبكاتها وكشف عدد من مخابئ السلاح والاستيلاء على محتوياتها، ولم يسلم من السلاح إلا ما كان مخزناً في منطقة الأوراس وبعض مناطق القبائل، بسبب وعورة تضاريسها وعدم وصول أجهزة أمن المحتلّ إلى معرفة شيء عنها.

ولا يهمنا في هذا السياق أن نتحدث عن سبب اكتشاف المنظمة الخاصة ومن كان مسؤولاً عن ذلك، ولا عن التعذيب والتنكيل الذي تعرض له المعتقلون من أعضائها؛ فذلك موضوع آخر.

لقد كان ما نجا من مخازن السلاح هو الذي وجده المجاهدون بين أيديهم لما حانت ساعة الصفر. بل إن بعض هجومات وعمليات الفاتح من نوفمبر تمّت بالخناجر والمُديّ والفؤوس وحرق لمباني والحقول وتحطيم أعمدة الهاتف والكهرباء في بعض المناطق التي لم يتوفر لها السلاح، وهو ملمح يشير إلى إيمان وقوة وبسالة أولئك الرجال الذين فعلوا ذلك رحمهم الله تعالى.

السلاح بعد انطلاق الثورة

بعد ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤ لم يكن السلاح الذي يمتلكه المجاهدون أبدا ليكافئ حتى السلاح الموجود عند حرس الغابات أو الشرطة في بعض المدن الجزائرية المتوسطة..وكان عماده بنادق الصيد وبنادق مورز الألمانية التي كانت تعادل يومها رشاش الكلاشنيكوف وبعض قذائف المورتر والقنابل التقليدية محلية الصنع. ولكن الذي صنع الفارق كان الإيمانَ والعزيمة الصلبة والإرادة الفذّة والرغبة العارمة في إخراج المحتلّ الصليبي من أرض الجزائر.

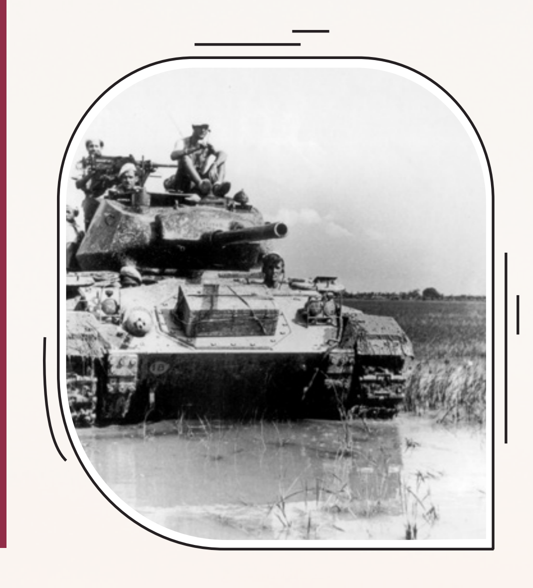


ولأن الثورة كان لها ممثلوها في القاهرة حيث مقرّ الجامعة العربية، وكان لها شبكاتها وعلاقاتها في كل من ليبيا وتونس والمغرب، وكان لها جنودها وشبكات تمويلها في أوروبا فقد كان واضحاً من البداية وبعد أن تجاوزت الثورة مرحلة الخطر بثبات وبسالة مجاهدي الأوراس لأكثر من ستة أشهر كما وعد الشهيد مصطفى بن بو العيد ووفّى به رجاله الذين تحملوا عبئاً وضغطاً هائلين ساحقين ولكن الله ثبتهم ونصرهم.

أما بعد مضي الأشهر الستّة الأولـى وبعد عملية الهجوم الكبرى في الشمال القسنطيني بقيادة الشهيد زيغود يوسف؛ فقد أصبحت الثورة الشاملة أمراً واقعاً وأدركت فرنسا أن الأمر ليس مجرد اضطرابات عابرة أو سخطاً شعبياً مسلحاً يمكنها القضاء عليه بسهولة، وهي كانت تسوّق ذلك في إعلامها الداخلي والخارجي لدى حلفائها.

لكن مما تجدر الإشـارة إليه بوضوح في هذا السياق أن الثورة الجزائرية جاءت بأشهر فقط بعد هزيمة فرنسا النكراء في معركة ديان بيان فو في الفيتنام، وأنها كانت في سياق ما سمّي يومها بـ(تصفية الاستعمار).. فلم تكن الثورة الجزائرية يُتعامل معها كما يُتعامل مع الحركات الجهادية والمسلحة اليوم على أنها إرهاب، وقد ذكرنا سابقاً أن قيادة الثورة اتصلت مبكراً بالجامعة العربية في مصر وكانت لها صلات بالقيادة السياسية والأمنية المصرية وكانت لها علاقاتها مع السلطات المغربية والتونسية قبل الاستقلال وبعده، وكـان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في إيصال صوت الثورة وربط علاقات مع جهات رسمية وشعبية في الشام والعراق فضلاً عن مصر.. كل هذه الملابسات جعلت التسلح النوعي الذي يناسب ثـورة شعبية ممكناً ومتاحاً رغم التحديات التي كانت دائما ممثلة في:

- رقابـة ويقظة أجهزة الأمـن والاستخبـارات الفرنسية.
- فـأي الخطيأأن المكأهـربين: شـال ومأأوريس علـى الحدود الغربيـة والشرقيـة.
- في تعاطي السلطات المغربية والتونسية سلباً مـع عمليات تهــريب أو شراء الأسلحة مـن بلديهما تحت ضغط الاحتلال، أو طلباً لمصالح سياسية مــن قيادة الثورة كالحدود أو غيرها.



لقد كان أكثر السلاح الذي وصل المجاهدين في الداخل قادماً من:

- **الدول العربية :** التي تأتي في مقدمتها مصر كمصدر أو مَعْبر.
- **دول المعسكـــر الشـــرقي:** فـــي إطار الحـــرب الباردة بينه وبين أوروبا كعضو فـــي الحلف الأطلسي.
- **شبكات التهريب:** التي كانت تمتد حتـى الدول الأوروبية، والتــي كانت تشتغل إمــا تطوعاً ونصرةً للثورة أو كشبكات تبيع وتشتـري السلاح، وقـد تـركزت كبـرى عمليـــات التهريب عبر المنافذ البحرية الغربية مروراً بإسبانيا والمغرب.
- **السوق السوداء:** التي كانت تتاجـر بيعاً وشــراءً فـي بقايا الحــرب العالميــة الثانيـة، خاصّة من بنادق ومسدسات ومدافـع هـاون ومـورتر وقنابـل يـدوية ورشاشات وذخيرة.
- معامل صناعة الأسلحة والذخيرة التـــي أقامتها الثورة فـــي الأراضي المغربيـــة، خصوصاً والتي استطاعت تحقيق منجزات مهمة بمقاييس ذلك الـــوقت، وقـــد استطاعت مثـلاً أن تنتج نصف مليون قنبلة يدويـــة و ١٠٠٠ مسدس رشاش نـــوع PH60 و ٥٠٠ مدفع هاون وكمية معتبرة من العبوات.



لقد استفادت الثورة الجزائرية من موجة عابرة للقارات من التعاطف، وجاءت في فترة كان اليسار الأوروبـي في أوج عنفوانه الثوري؛ فانخرط عدد كبير من الشيوعيين ومن الفرنسيين أنفسهـــم فـــي عمليات التهريب والتمويل لشـــراء الأسلحة وفـــي استخدام علاقاتهم للضغط في اتـجـاه يـخـدم الـثـورة.

ومع ذلك فإن المجاهدين كانوا دائماً يشكون من نقص السلاح والذخيرة كماً ونوعاً، وقد عانوا الأمرّين من الطيران الفرنسي ولم تكن إلا مناطق قليلة تحوز مضادات للطيران، ولم يمتلك المجاهدون دبابات ولا عربات مدرعة ولا صواريخ. وقد زادت مشكلة التسليح تعقيداً وصعوبة بعد بناء خطي شال وموريس، وبعد النزاعات التي عرفتها قيادات الثورة الداخلية فيما بينها، وبين القيادة في الخارج.

ولقد أضعف تناقص مستوى التسليح على أداء الثورة العسكري وأنهك المجاهدين في الداخل، لولا أن الثورة كانت قد اكتسبت زخماً من التعاطف السياسي الدولي خاصة بعد موقف الرئيس الأمريكي كنيدي منها إيجابياً، والذي قد يكون على الأرجح محاولة لصد المعسكر الشرقي أو لأنها قد تكون قناعة لديه! وكذلك بعد مظاهرات ١١ ديسمبر ١٩٦١ ، هذا التعاطف أدخل القضية الجزائرية أروقة الأمم المتحدة ما خفّف العبء عن مجاهدي الداخل وأعطاهم أملاً يعوضهم نقص السلاح.

كما لا ينبغي أن نغفل أبداً دور فرنسا الماكر في إضعاف المجاهدين حاملي السلاح عن طريق الحصار الشديد، لحساب مفاوضين سياسيين مرنين يمكن الوصول معهم إلى حلول وسط، وبعض منهم كان حتى السنتين الأوليين من الثورة ما زال يتبنى خط الاندماج ويطالب فقط بتحسين ظروف الجزائريين وحقوقهم السياسية؛ بل وعارض بطريقة أو أخرى الثورة المسلّحة.

" وقد أثمر هذا المكر الفرنسي المسنود بالمخابر والخبراء والتجربة مع المفاوضين الجزائريين في مفاوضات إيفيان السويسرية، الذين كانت صلة أكثرهم ضعيفة بالجهاد في الداخل أو كانوا ما زالوا على قناعاتهم القديمة اليسارية أو الاندماجية، أو كانوا في الغالب مبهورين بالحضارة الغربية ويرون فيها مثلاً أعلى، وهذه النفسيات من الصعب جداً أن تثبت أو تنتصر في مفاوضات مع عدو لدود متوحش ماكر مثل فرنسا. "

وكان هناك أثر آخر جليّ في التسليح الذي تكفلت به الدول العربية وعلى رأسها مصر والمعسكر الشرقي والدعم الإعلامي والسياسي الذي قدمه اليساريون في العالم، أن استقر الاختيار في مؤتمر طرابلس قبيل الاستقلال على النهج الاشتراكي

والبعد القومي بالمفهوم الذي كان يروّج له عبد الناصر يومها وكان سائداً في الساحة العربية كلها تقريباً، والذي تبنّاه الرئيس بن بلّة ثم هواري بومدين ولو بشكل مختلف عن سابقه، وأُقصي أي بُعد إسلامي للشعب الجزائري في الخيارات الاستراتيجية الكبرى ما عدا كلمات قليلة مبثوثة هنا وهناك في النصوص القانونية والبيانات السياسية كلها موهمة وحمالة أوجه وفي قضايا فرعية، ما عدا بيان أول نوفمبر الذي أشار بوضوح إلى أن الدولة الجزائرية ذات السيادة يجب أن تكون ديموقراطية اجتماعية في **(إطار المبادئ الإسلامية)**، وحتى هذه العبارة لم تسلم من التأويل والإقصاء الذي جعلها جزءاً من التاريخ لا أثر له في واقع الجزائريين.



> لقد كان التحدّي الأكبر أمام كل الثورات والحركات الجهادية الكبرى هو مشكل السلاح، وكان الاختراق والتحكّم في القرارات الكبرى والتوظيف ينطلق دائماً منها ويعتمد عليها، وفي ظل منظومة هيمنة عالمية بُنيت بعد الحرب العالمية الثانية وشُبّكت وعُقّدت ورُبطت أجزاؤها بشبكة من القوانين والاتفاقيات والالتزامات التي تُجبر عليها الدول أو تنخرط فيها طواعية؛ كل ذلك جعل حركة أي قطعة سلاح من طرف لآخر محسوبة ومراقبة، وحتى لو نجحت فإن صاحبها سيكون معرّضاً للعقوبات والحصار وربما الاغتيال.

لقد كان من حظ الثورة الجزائرية نسبياً أنها:

- حدثت في زمن الثنائية القطبية.
- وفترة الحرب الباردة.
- وفي سياق سياسي وثقافي عالمي شعبي وإعلامي يطالب بتصفية الاستعمار القديم وإنهائه، وإن كان ذلك في الحقيقة لصالح أشكال جديدة من الاستعمار.

- واستفادت من دعم عربي وإسلامي معتبر، جاء بعد ارتفاع لواء القومية العربية ومحاولة عبد الناصر تزعُّم العالم العربي.
- وكانت ثورة انخرطت فيها نسبة مؤثرة من الشعب الجزائري برغم ثقل وطأة العمالة والخيانات، كما هو الشأن في ثورات كل شعوب العالم عبر التاريخ.

أما ما حدث بعد ذلك من ثورات تحرر أو حركات جهادية لإسقاط الأنظمة فقد حُرمت من كل هذه الميزات والمعطيات، وأصبح السلاح نفسه الذي تحتاجه هذه الثورات والحركات سلاحاً ضدّها، وفي أيدي أعدائها يستخدمونه ضدّها لابتزازها أو توظيفها أو تحجيم دورها وإضعافها، حتى تقبل الإملاءات والشروط، أو حتى من أجل اختراقها لتصبح أداة مباشرة وصريحة للثورة المضادّة.

ونحن هنا حين نتحدّث عن السلاح، فإننا نتحدّث حتماً عن المال الذي يُشترى به السلاح وتُضمن به احتياجات الجيوش اللوجيستية وغيرها؛ فهما مرتبطان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

" لقد كان هذا تحدّياً في الماضي القريب وما زال. **وما لم تحدث اختلالات وتصدّعات في بنية منظومة الهيمنة العالمية** بين شرقه وغربه أو بين مكوّناته في الحلف الأطلسي أو بين الصين وروسيا أو بين دول الاتّحاد الأوروبي بما يتيح متنفساً يصبح فيه أمر السلاح متاحاً دون شروط ولا رقابة مباشرة، **وما لم يردم المسلمون وهم رأس حربة التحرّر من منظومة الهيمنة في العالم الفجوة التقنية** بشكل يتيح لهم الحصول على تقنيات ومعارف وعلوم تمكّنهم من صناعة السلاح ولو في المستوى الذي يسمح لهم فقط بالتحرّر من التوظيف والاختراق وبعيداً عن الأنظمة والدول الوظيفية؛ ليصبح ممكناً على المستوى الشعبي، وهو أمر بدأت بعض ملامحه تتضح وإن في شيء من الغموض والتحدّيات الكبرى، **وما لم تقُم للمسلمين في العالم العربي أو الإسلامي عامّة دولة** قويّة تتبنى قضاياهم بوضوح وتناصرهم بقوة وتدافع عنهم بإيمان وتدعمهم دون خشية حصار أو إسقاط وتوفّر لهم التدريب والتأهيل اللازمين فقط لأنهم مستضعفون ومظلومون ولأنهم مسلمون من حقّهم أن يعيشوا حياتهم بإسلامهم أعزة كرماء أحراراً.. "

ما لم يحدث ذلك فسوف يبقى التحدّي قائماً، ويبقى الأمر نفسه يتكرر بأشكال وصور مختلفة ولكن مآلها واحد: الاختراق والتوظيف والاحتواء لصالح دول الكفر وتوابعها من الأنظمة الوظيفية في العالم العربي والإسلامي.



الخلاصة

إن ثورة التحرير الجزائرية كانت عسكرياً من أكبر ثورات التحرير بجانب الحرب الفيتنامية وجهاد الشعب الأفغاني. ولكن ما حققته لم يكن هو الاستقلال الذي ترصّع تاجه السيادة الكاملة وإنما كان ما تحقّق هو ما يمكن تسميته بـ (الجلاء العسكري الفرنسي) عن الجزائر.

فلقد تحقّق بعد الاستقلال من أهداف الاستعمار ما لم يتحقق قبله، ووقع من المسخ لهوية الشعب وسلخه عن دينه وتغريبه وتلويث أخلاقه وفصله عن مصادر قوّته واستلاب ثرواته الظاهرة والباطنة وتهجير طاقاته وكفاءاته من الشباب والعلماء، ما لم يحدث مثله إلا في بدايات الاحتلال وحتى قريب من الحرب العالمية الأولى، وتُوّج كل هذا التدمير الممنهج بالمحرقة التي تعرض لها الجزائريون بعد انقلاب 2991، والتي حدثت بتواطؤ كامل ودعم خفيّ من فرنسا وصمت من حلفائها الغربيين، إلا من التنديد والشجب الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؛ تلك المحرقة المهولة التي تلتها (المرحلة البوتفليقية) التي وصفها الشيخ الأستاذ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية العلماء المسلمين السابق أنها أسوأ مرحلة مرّت بها الجزائر منذ استقلالها.

لقد دمّر **الاستعمار الفرنسي** كل مقدّرات الشعب الجزائري المادية، ولكن كان قد بقي له من دينه ولغته ما يحفظ وجوده من الاندثار، وكانت تضحيات الجزائريين ضخمة جدّاً بحيث تكون غنيمته الكبرى بعد حرب تحريرية مثل هذه أن يستعيد من قوته وأصالته ونهضته المادية وصِلته بدينه وإعادة بناء الإنسان الجزائريّ وترميم ما جعله الاحتلال حطاماً وركاماً، ولكنّ الاستبداد باسم الاشتراكية كان في حقيقته مواصلة واستمراراً لما فعله الاحتلال بأيدٍ جزائريّة وفي ظلّ دولة قمعت الإنسان وشوهت فطرته.

ثم جاءت محرقة التسعينيات لتستأصل ما أفلت من المرحلتين وتجتـثّـه من جذوره وتجعل جيلاً كاملاً ضحيّة للبطش والقهر والتنكيل تنفيذاً لكلمة الهالك رضا مالك رئيس الحكومة الأسبق وأحد مفاوضي إيفيان مع فرنسا حين قال نهاية عام **١٩٩٥** كلمته المشهورة التي أطلق بها شرارة المجازر في الجزائر:

(يجب على الرعب أن يغيّر معسكره)، ثم جاءت مرحلة بوتفليقة منذ **١٩٩٩** لتستلم جيلاً آخر أنهكته المحرقة فتزيد من مسخه وتشويه كلّ شيء جميل فيه وتحارب كلّ مقوّمات هوّيته.

باختصار شديد: لقد أُجهِضت ثورة التحرير. وقد كتب فرحات عباس بعد الاستقلال رغم أنه كان عرّاب التيار الاندماجي كتابه الذي جعل عنوانه (الاستقلال المُصادَر)، وقبله قال الشهيد زيغود يوسف قائد الشمال القسنطيني وقائد معركة **٢٠** أوت **١٩٥٥** التي فكّت الحصار عن الأوراس بعد أن حضر مؤتمر الصومام عام **١٩٦٥** ورأى فيه إرهاصات الانقلاب على بيان أول نوفمبر بتغييب كل ما له علاقة بالإسلام وإرهاصات الاحتراب والفتنة بين قادة المناطق كلمته: أما الاستقلال فهو آتٍ، وأما الثورة فقد انتهت.

وقال الشيخ الإمام البشير الإبراهيمي في أوّل خطبة جمعة له بعد الاستقلال في جامع كتشاوة: (إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان قد يَئِس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يُطاع فيما دون ذلك"، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضرورة يقدر بقدرها".

ما أسفرت عنه الثورة كان (جلاءً عسكرياً) لقوات الاستعمار وهزيمة نكراء لجيوشه، أما هدف الثورة الذي جاء في بيان أول نوفمبر فلم يتحقق منه سيادة ولا ديموقراطية ولا رفاه اجتماعي ولو بالاشتراكية الشوهاء، ولا روعيت فيه المبادئ الإسلامية التي تؤطر ذلك كلّه، أمّا الدولة فقد تحققت ولكنها كانت (وظيفية) منذ تأسيسها تترنّح بين الولاء للشرق أو لفرنسا تحديداً.



سُرقت ثورة الجزائريين كما سُرقت ثورات العرب والمسلمين في كلّ الأقطار، وما زالت تُسرق أو تُحتوى أو يُلتَف عليها أو تُكسر بالثورات المضادّة المخترقة والموظفة حتى النخاع.

الأسباب كثيرة ومتنوعة ومتشابكة ومعقّدة، يحسن أن تُفرد لها الدراسات وتُخصّص لها المؤتمرات ويعصر فيها المفكرون مادّة عقولهم الرماديّة، وذلك مضمار آخر ما زلنا لم نوفّه حقّه ولم نعطه ما يستحقّ.



فرق الأحكام بين بن لادن وعزام

كرم الحفيان

مقدمة

نشرع في هذه الورقة بتفصيل وتوضيح بعض ما أجملناه في المقالة السابقة، ونكرر التنويه بأن المرحلة المستهدفة بالعرض والتحليل هي ما استقر وانتشر من فكر ونهج بن لادن وعزام لا ما سبق أو ما خرج عن النسق العام.

بدايةً، تحسن الإشارة إلى أمرين هامين:

الأول: استقلال بن لادن عن عزام على الصعيد العملي تم قبل قتل الأخير [١] (لأسبابٍ ليس هنا محل سردها بالكامل)، دل على ذلك ترك بن لادن للعمل في مكتب خدمات المجاهدين (الذي أسسه عزام) وإيقاف تمويله له [٢] ، ثم إنشاء تنظيم القاعدة مطلع ١٩٨٨ م، إلا أن علاقتهما الشخصية بقيت جيدة حتى مقتل عزام ١٩٨٩ م.

الثاني: السبب الأهم لجل الخلافات الفكرية الجذرية بين الشيخين (المرتبطة بأحكام التكفير والموقف من الجماعات) لاعلاقة لها بالتموضعات الجديدة للقوى العالمية والتفرد والهيمنة الأمريكية وتوابعها، أو تقلبات أداء الجماعات الإسلامية بعد وفاة عزام، إنما مردها لتغيرات مجردة طرأت على فكر بن لادن وشكلت منهجه الجديد بشكل تدريجي نتيجة تأثره بكوادر السلفية الجهادية خلال تسعينيات القرن الماضي [٣] وبواكير الألفية الميلادية الثالثة.

ما يهمنا في الأسطر القادمة هو بسط وتفنيد الاختلافات الحادة في مسائل الأحكام، ولفت الأنظار إلى مخرجات آلية ومرجعية التفكيرعند بن لادن وعزام فيما يخص: الانخراط بالعمل السياسي الدستوري في ظل هيمنة المنظومة القانونية الغربية على العالم الإسلامي.

يؤمن بن لادن بأن أي مشاركة سياسية في ظل القوانين الوضعية (المخالفة للشرع الإسلامي) الحاكمة منذ عشرات السنين محليةً كانت أوعالمية، هوعملٌ كفريٌ مخرج من الملة مهما كانت المعطيات والنيات والأهداف.

يشمل هذا: جميع الحكام والحكومات المشرّعة للقوانين الوضعية أوالحاكمة بها أو المتحاكمة لها (بلا استثناء)، إضافةً إلى المنتخَبين والمنتخِبين في مجالس الشعب التشريعية (بشرط إدراكهم للصلاحيات التشريعية الممنوحة للبرلمانيين).

---

(١) انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، نسخة إلكترونية، ص٧١٠ ، ديسمبر ٢٠٠٤ م.
(٢) انظر: محمود عزام (ابن أخت عزام ومدير مكتبه الإعلامي)، شيخي الذي عرفت، نسخة إلكترونية، ص ١٦٢، ٢٠١٢ م.
(٣) انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص ٧١٢ .



جاء على لسان بن لادن في أهم بيان تأسيسي شمل الأحكام الجديدة التي تبناها (وأكّد على القديمة) بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٩٥ : "إن تحكيم القوانين الوضعية والتحاكم إليها هو بلا شك عبادة ممن يفعل ذلك لواضع هذه القوانين"، وجاء أيضاً: "ناهيك عما يحكم البلاد في علاقاتها الخارجية من تلك القوانين التي نأخذ مثالاً لها التزامكم بالتحاكم إلى هيئة تسوية المنازعات بين دول مجلس التعاون الخليجي، فهذه الهيئة.. هيئة كفرية قانونية بما لا يدع مجالاً للشك.. التحاكم إلى مثل هذه الهيئات.. كفرُ بواحُ مخرجُ من الملة" (٤) .

وإن كان هذا البيان موجهاً إلى ملك السعودية ونظامه وحكومته، إلا أن بن لادن أحال إلى فحواه كثيراً في الفترات اللاحقة وعمم الحكم الذي فيه: "فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار، وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة" (٥) .


أسامة بن لادن

"فالعلة الكبرى في تكفيرنا للحكام أنهم لا يحكّمون شرع الله تعالى في جميع شؤوننا.. وما قلناه في البيان السابع عشر من الأدلة عن الحكام في ارتدادهم عن الملة وعدم التزامهم بمقتضيات "لا إله إلا الله" ينطبق كذلك على الزعامات الدينية في مجلس الحكم الانتقالي، وعلى أي زعامة أخرى في أي مجلس مشابه في العالم الإسلامي تقترف ما اقترفوه، حيث إن من أهم ما تعنيه كلمة "لا إله إلا الله" أي لا حاكم ولا مشرع إلا الله" (٦) .

(٤) أسامة بن لادن، البيان رقم ١٧، هيئة النصيحة والإصلاح، لندن، ٣ أغسطس ١٩٩٥ م.
(٥) أسامة بن لادن، توجيهات منهجية ٢، ص ١٢ - ١١ .
(٦) أسامة بن لادن، يا أهل العراق، منبر التوحيد والجهاد.

وبعد أن استعرض بن لادن حال الأمة منذ سقوط الخلافة وقيام الدول العلمانية، قال في أحد بياناته الموجهة إلى الأمة بعنوان "بيان الإيمان" في ٢٠٠٧ م: "جاءت قيادات جعلت الدخول إلى الإصلاح من بوابة الشرك الديمقراطي، فأين ذهب إيمانهم وأين ذهبت عقولهم حتى يقتحموا هذه الأعمال الشركية المخرجة من الملة فظلوا يدورون في حلقة مفرغة منذ عقود" [٧].

وصرّح أيضاً: "فكيف إذا علمنا أن كثيراً من هذه الجماعات، قد شاركت في مجالس النواب التشريعية الشركية، وكل من يعلم حقيقة هذه المجالس، يعلم أن نواب هذه الجماعات، قد أقسموا بالله العظيم قسماً، يلزمهم باحترام والتزام ما جاء في دستور دولتهم الطاغوتية... وهذا اليمين لا يختلف فيه اثنان من أهل الإسلام بأنه عمل شركي قام به صاحبه عالماً طائعاً مختاراً وقد أفتى علماء أجلاء بكفر من قام بمثل هذا العمل الشركي" [٨]، وهؤلاء العلماء أبرزهم: أبومحمد المقدسي وناصر الفهد وعلي الخضير[٩]، وهم من أبرز شيوخ السلفية الجهادية. والمصدر المعتمد عندهم في تكييف وإطلاق الأحكام هو ميراث الحركة الوهابية الخالصة قبل اختلاطها بغيرها من الافكار والمدارس الإسلامية مطلع القرن العشرين.

ومما قاله أيضاً في أحد رسائله: "فالملايين من المسلمين بما في ذلك الكثير من أعضاء الجماعات المنتسبة إلى الإسلام، واقعون في الأعمال الشركية بسبب الانتخابات في المجالس التشريعية" [١٠].

وفي أحد أهم كلماته الصوتية للأمة عامة وللعراقيين خاصة (قبيل أول انتخابات برلمانية أعقبت الاحتلال)، وفي سياق قبوله لبيعة الزرقاوي وتدشين فرع القاعدة في العراق، صرح بفتوى نصها: "إن كل من يشارك في هذه الانتخابات والتي سبق وصف حالها عن رضى وعلم، يكون قد كفر بالله تعالى" [١١]. والمقصود بالرضا هنا هو نقيض الإكراه وليس الرضا القلبي، والعلم هو إدراك الصلاحيات التشريعية التي يمنحها الدستورالوضعي للبرلمانيين.

---

(٧) وثائق أبوت أباد، "بيان الإيمان"، ص ٩٧٤ .

(٨) المصدر السابق، ص ١٠٢١

(٩) أبو محمد المقدسي: المنظّر الأبرز وصاحب أهم مؤلفات شكلت عقلية غالب السلفيين الجهاديين، كـ"الديمقراطية دين" و"ملة إبراهيم" ومؤسس المنصة الإعلامية العلمية الأهم على النت "منبر التوحيد والجهاد"، وناصر الفهد وعلي الخضير: من أهم المرجعيات العلمية عند الجهاديين عامة والسعوديين منهم خاصة.

(١٠) المصدر السابق، ص ٩٦٤ .

(١١) أسامة بن لادن، وثائق أبوت أباد، ص ٥٦٤ .

وعنده، جميع المسائل السابقة من قطعيات العقيدة التي لا تقبل الخلاف ولا يُعذر من قام بها، وهو في هذا يتبنى الرأي الأشد داخل التيار السلفي الجهادي، والذي يمثله المقدسي والخضير والفهد وغيرهم.

من ناحيةٍ أخرى، وبالرغم من اتفاق عزام مع بن لادن وجزمه أن: الأساليب الانتخابية السلمية لا تقيم للإسلام دولة، وأنها ليست الحل الشامل أو الخيار الاستراتيجي لتحرير الأمة من سلطات ونفوذ الجاهلية داخلياً وخارجياً. فإن نظرته لحكم المشاركة السياسية للإسلاميين وأصحاب التوجه الإسلامي شديدة التفصيل ولا علاقة لها غالباً بمسائل الكفر والإيمان، إنما تتراوح بين الحل والحرمة بحسب ظرف كل بلد، طالما أن المشارك يظهر من سيرته وقرائن حاله وأدائه العملي السعي للإصلاح وتقليل الفساد والظلم ومعارضة القوانين المخالفة للشريعة والبعد عن العمالة للأعداء.



فغيما يخص البرلمانات وحكم دخولها أجاب عزام على أحد الأسئلة المطروحة عليه قائلاً: "المجالس النيابية في بلد فيها رائحة حرية يكون فيها خير للمسلمين أو يخفف الظلم عن المسلمين، لكن لا يعمل دولة إسلامية ولا يقيم مجتمعاً إسلامياً هذا العمل" [١٢].

وعلل رأيه شارحاً: "الذي يكون في مجلس نيابي وظيفته نقد الدولة والاعتراض... فإذا كان همهم أن يبينوا للناس مساوئ هذه الدولة أو عيوبها أو يقومونها أو يخففون الظلم عن الناس، أرجو الله عز وجل أن لا يكون فيها شيء، وهذا خفف كثيراً من الظلم في بعض البلدان، أما إذا كان همه الدنيا فويلٌ له ثم ويل" [١٣].

---

(١٢) موسوعة الذخائر العظام فيما أثرعن عبد الله عزام، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، أسئلة هامة جداً، ص ٤٧٩ .

(١٣) المصدر السابق .

وفي موطن آخر، رداً على أحد السائلين عن دخول البرلمان إيماناً، قال عزام: "ليس إيماناً نحن نعيش في مجتمع جاؤوا لنا بأوروبا وقوانينها وطبقوها على رؤوسنا، هي فوق رأسك إن شئت أم غضبت". وحول الفائدة المرجوة من دخول البرلمان، أشار عزام إلى أن المسألة تقديرية، ولخص موقفه الإجمالي من هذه القضية بقوله: "مجلس النواب عبارة عن منبر من المنابر التي يمكن أن يوصل كلمة الحق فيها إلى الأمة، يعني هذا الذي أقتنع فيه منذ زمن والله أعلم، فقد أكون مخطئاً وقد أكون مصيباً" [١٤] .

أما فيما يتعلق بتولي الوزارات فموقفه العام تمثله كلماته التالية: "أما مجلس الوزراء أنا أظن والله أعلم أنه مجلس تنفيذي يحرم الدخول فيه"، بعكس مجلس النواب الذي يتيح المعارضة، إلا أنه في الوقت ذاته كان يحترم اجتهاد العلماء الآخرين المخالفين له، وقد ذكر حواراً دار بينه وبين أحد أشهر علماء الهند أبي الحسن الندوي: "ذات مرة تناقشت أنا وأبو الحسن الندوي على الوزارة، فقلت له نحن نرى أن الدخول في الوزارة في بلادنا مصيبة من المصائب بالنسبة للداعية، وكنت أتكلم معه، أقول له عن الحركة الإسلامية، أي واحد يدخل الوزارة يفصلونه، فغضب غضباً شديداً فقال: لا لا لا، نحن نبحث عن شرطي مسلم ليخفف الرشاشات عن المسلمين عندما تفتح في الهند... لا تتشددوا في هذه القضايا، هذا رأي الأستاذ الندوي بارك الله في عمره، وهو بقيةٌ من السلف الصالح نحسبه كذلك" [١٥] .

تظهر ثمرة هذا (الاحترام للاجتهاد الآخر) في ثنايا ثنائه الكبير على عدة تجارب، منها على سبيل المثال: تجربة عدنان منديرس (الذي أعاد الأذان باللغة العربية لتركيا)، والتجربة السياسية الماراثونية للحركة الإسلامية بتركيا (بقيادة نجم الدين أربكان)، التي شاركت وشكلت عدة حكومات، ووصل قادتها في بعض الأحيان لمنصب رئاسة الوزراء [١٦]، وتجربة إسحاق الفرحان وزير التربية والتعليم بالأردن [١٧] .

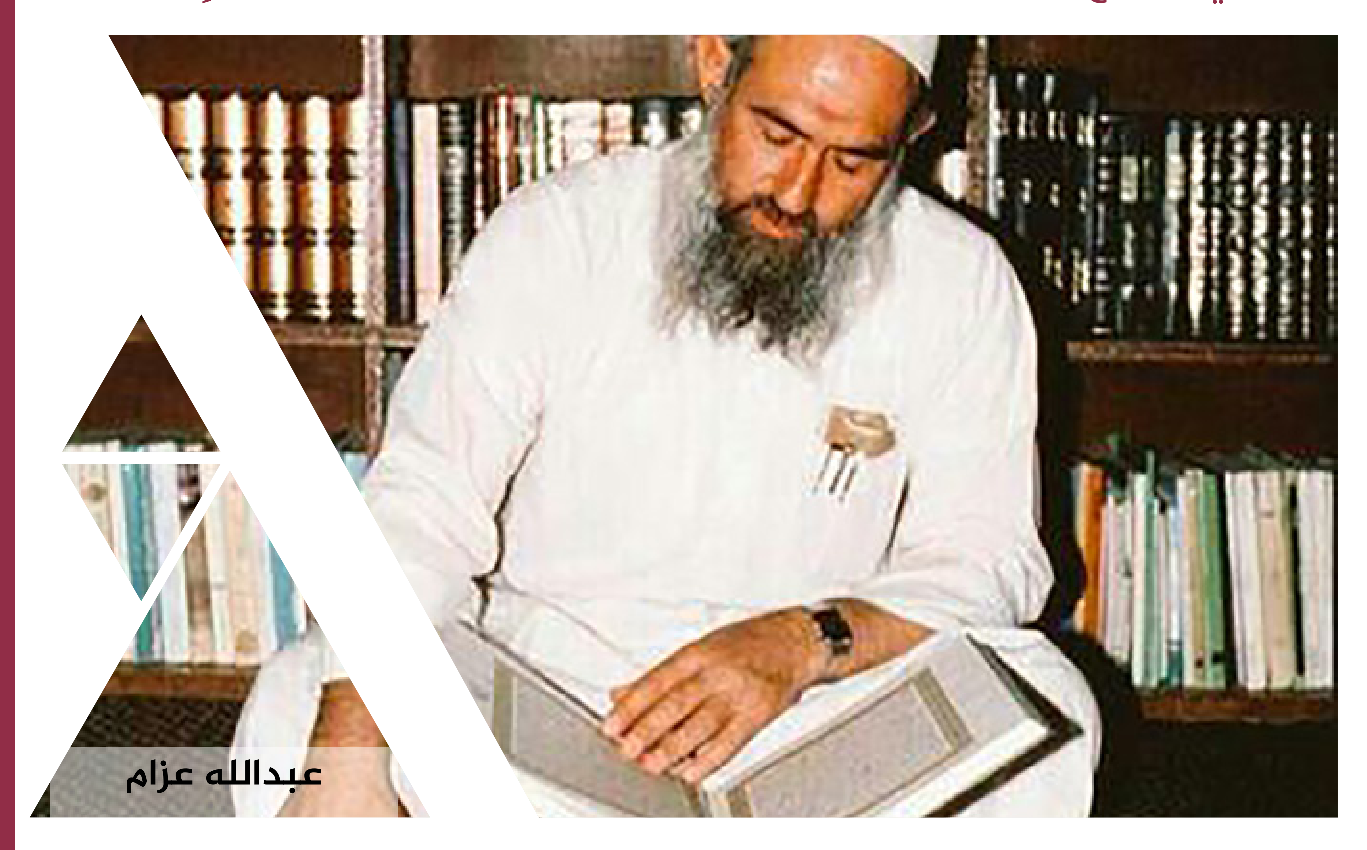
ذات الأمر ينطبق على رأيه بضياء الحق رئيس باكستان الأسبق، فقد كان محل ثقة عزام، وقد وصفه بالشهيد فور مقتله. هذا رغم إقرارعزام بوقوع الدولة الباكستانية وقتها في مجال الوصاية الأمريكية،

---

(١٤) في ظلال سورة التوبة، ص ٣٩ .
(١٥) المصدر السابق، ص ٤٠ .
(١٦) انظر: موسوعة الذخائر العظام، المجلد الرابع، ص ١٠٣٣ .
(١٧) انظر: في ظلال سورة التوبة، ص ٣٢ - ٣٣ .

وبتحكم الشيعة والقاديانيين في غالب مؤسسات الدولة، إلا أنه أكبر في ضياء الحق بذله الجهد الواسع في تغيير الدولة من داخلها.

قال عزام: "طبعا باكستان هي تحت وصاية أمريكا.. لكن ضياء الحق نفسه حتى الآن أنا اظن أنه رجل طيب" [١٨]، "كبار المناصب كان يستلمها الشيعة والقاديانيون والإسماعيلية، اقتصاد البلد، الطيران، المخابرات، الجيش، كلها بيد هذه الطوائف الثلاثة... فجاء ببعض الطيبين، منهم هذا قائد الجيش الموجود ميرزا أسلم بيك، وجاء بحميد غل مديراً للاستخبارات.. نظّف نظّف نظّف، هذا الذي استطاع أن ينظفه، ولم يجد أحداً أن يساعده.. نحن نظن أنه شهيد بإذن الله" [١٩].



عبدالله عزام

والخلاصة التي وصل إليها عزام في مسألة التعاطي مع القوانين الوضعية بعد بحث طويل[٢٠]، أن: "الحاكم الذي يشرّع (ليس يطبق) يشرّع بغير ما أنزل الله يعني يقنن قوانين ويأمر بنصوص قانونية مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، هذا يخرج من الإسلام، وكذلك المقنن الذي يصوغها في مواد قانونية، المشرّعون هؤلاء" إضافةً إلى "أي واحد في مجلس الأمة يوافق على أي مادة قانونية تناقض شرع الله" [٢١] .

---

(١٨) موسوعة الذخائر، المجلد الرابع، ص ٧٨٩ .
(١٩) موسوعة الذخائر، المجلد الثالث، ص ١٠٤٩ .
(٢٠) في ظلال سورة التوبة، ص ٣٨ .
(٢١) المصدر السابق، ص ١١٩ .



خاتمة

رأينا التفاوت الكبير في إطلاق الأحكام وفي تنزيلها على أرض الواقع بين بن لادن وعزام، على الرغم من اشتراكهما في الكثير من التفاصيل العقدية النظرية (السلفية المعاصرة)، وفي التصور الفكري (المقتبس من سيد قطب)، وذلك للتباين الكبير في العقلية الفقهية التي يميل لها كل طرف، والتي ترسم له مسار أحكامه وفتاويه.

فعقلية عزام الأصولية [٢٢] معتادةٌ على تنوع الاجتهادات وتعدد المسالك في استنباط الأحكام، وتأخذ بعين الاعتبار بواعث الأعمال وقرائن الأحوال والقدرة والمآل (في مختلف نواحي الحياة ومنها العمل السياسي)، فلذا تتجنب التعميم وتجنح للتخصيص والتفصيل، ولا تخلط الثابت بالمتغير والعقيدة بالفقه، وتحذّر من التشكيك في عقيدة وتوحيد العاملين للإسلام وعموم المسلمين.

أما عقلية بن لادن (في هذا الجانب) فكما رأينا، تعتنق الفكرة وتجعلها المعيار الأوحد، ثم تزن جميع الآراء الأخرى بها، ولا تبحث كثيراً عن جذور الاختلاف وأسبابه، ولا تتهيب من إلصاق أقصى الأحكام بجموع هائلة من العاملين للإسلام وعموم المسلمين، وذلك لتشبّعها واعتمادها (فقهياً) على: المسار التاريخي السياسي للحركة الوهابية، والنفسية التي حملتها في صراعها الدامي ذي الصبغة العقائدية مع غالب المدارس والكيانات السنية في الأمة.

وبمقارنة بسيطة بين مفعول العقليتين في ساحات الجهاد والثورة والعمل الإسلامي في ثلاثة عقود مضت، تظهر أهمية إحياء فريضة الاعتبار الغائبة.

(٢٢) انظر: موسوعة الذخائر، المجلد الثالث، من ص ٧٨٩ إلى ٧٩١ .

تقرير

خمس سنوات من حرب مصر على الإرهاب

م. أحمد مولانا



مع تطور الصراع بين النظام المصري وبعض القطاعات المناهضة للانقلاب في مصر، وتضمنها لبعض أنواع المواجهات المسلحة، تصاعد اهتمام المراكز البحثية بالشأن الأمني المصري، ومن ضمن تلك المراكز معهد التحرير لسياسة الشرق الأوسط، ومقره الولايات المتحدة الأميركية، فخصص المعهد منذ مارس ٢٠١٤ منصة لمراقبة المشهد الأمني في مصر تتابع بشكل يومي وسائل الإعلام لتحديث قاعدة البيانات الخاصة بالمعهد عن المشهد الأمني في مصر.

ويهدف هذا المشروع حسب المعهد إلى معالجة التساؤلات التي ظلت دون إجابة، مثل: ما مدى خطورة مشكلة الارهاب في مصر؟ ومن هم الفاعلون الذين ينفذون تلك الهجمات؟ وهل كانت جهود الدولة كافية، ومناسبة للتخفيف من العنف؟ وما هي الآفاق طويلة المدى لترسيخ الأمن في مصر؟

وقد أصدر المعهد تقارير دورية شهرية عن الحالة الأمنية في مصر، ثم مع تراجع حدة المواجهات صارت تقاريره فصلية كل ثلاثة أشهر، ثم مؤخرا في منتصف نوفمبر ٢٠١٨ أعلن المعهد في تطور ملفت للنظر عن تدشينه نشرة أسبوعية تتناول الشأن الأمني المصري.

ويظل من أهم ما نشره معهد التحرير بواشنطن حتى الآن تقرير بانورامي مطول عن الحالة الأمنية بمصر بعنوان (خمس سنوات من حرب مصر على الإرهاب). ونُشر ذاك التقرير بالانجليزية في نهاية يوليو عام ٢٠١٨ ، فاعتنيت بترجمته للعربية، وستُنشر قريباً بمشيئة الله مع تعقيبات عليه، وفي هذا المقال سأستعرض أبرز المحاور العامة للتقرير.

انقسم التقرير إلى خمسة محاور أساسية، هي:

- ملخص تنفيذي، وشمل تقديم عرض إجمالي للتقرير ككل.

- الإرهاب، وتناول تطور ما سماه بالعمليات الإرهابية في مصر منذ عام ٢٠١٣ ، وخلص إلى تزايد العنف عبر أنحاء مصر عقب أحداث الثورة عام ٢٠١١ ، ثم تحوله بعد منتصف عام ٢٠١٣ ليبتعد عن الشكل العفوي ويصبح أكثر تنظيماً، وتعمداً، وتسييساً.

وقد رصد المعهد وقوع ٣٣٩ هجوم من يوليو ٢٠١٣ حتى نهاية ذلك العام، وحدوث 3431 هجوماً جرى تبنيهم من قبل جماعات مسلحة منذ نهاية عام ٢٠١٣ حتى منتصف عام ٢٠١٨ . كما رصد المعهد امتداد العنف إلى الدلتا والصعيد فضلاً عن سيناء التي شهدت وحدها حدوث ٨٦% من الهجمات المسلحة المبلغ عنها، وقد استهدفت ٦٦% من الهجمات في جميع أنحاء مصر منذ بدء الحرب على الإرهاب عام ٢٠١٣ قوات الأمن، وكانت محافظة البحر الأحمر هي المحافظة الوحيدة على مستوى مصر التي لم تشهد عمليات ضد عناصر الأمن.

وتناول التقرير بشكل من التفصيل تطور عمليات جماعة أنصار بيت المقدس، ثم عمليات ولاية سيناء، وبالأخص تمكن عناصرها من السيطرة على مدينة الشيخ زويد لفترة وجيزة يوم ١ يوليو ٢٠١٥ . وهو الحادث الذي يمثل حسب التقرير النموذج الوحيد لاستيلاء وسيطرة فاعل غير حكومي بمصر على منطقة حضرية، وإن كانت العملية انتهت بانسحاب المسلحين وتكبدهم لخسائر كبيرة.

كما تطرق التقرير إلى التغييرات التي طرأت على عمليات ولاية سيناء منذ مقتل قائدها السابق أبي دعاء الأنصاري، وتوجهها لشن عمليات طائفية تستهدف الصوفية والأقباط. وخلص التقرير إلى أن الوضع الأمني في شمال سيناء يشهد حالة من التشرذم، وعدم الاستقرار، مما ينذر ببقاء الوضع على ما هو عليه حتى لو هُزمت ولاية سيناء.

كما تعرض التقرير للحالة الأمنية في بقية المحافظات خارج سيناء، والتي أطلق عليها البر الرئيسي بمصر، وقال إن مستوى العنف في تلك المحافظات شهد تذبذباً بلغ ذروته خلال عامي ٢٠١٤ ، و ٢٠١٥ عبر استهداف البنية التحتية للنقل، والاتصالات، وشبكات الكهرباء، وغيرها من الأهداف الاقتصادية كما شهد اغتيالات لمسئولين وعناصر أمنية.

وبلغ معدل الهجمات آنذاك ٨٨ هجوماً تقريباً في المتوسط شهرياً خلال النصف الأول من عام ٢٠١٥ ، ثم ا نخفض بعد ذلك بشكل كبير، وعزا التقرير ذلك الانخفاض إلى عدة عوامل منها نجاح وزارة الداخلية في استهداف قيادات التنظيمات المسلحة، والسجن الجماعي للمعارضة السياسية، والذي ربما شمل من شاركوا في العنف أو ردع آخرين عن القيام به؛ وزيادة الحضور الأمني في المواقع المعرضة للهجوم (مثل الكنائس)، وفشل المراحل السابقة من المواجهات في إحداث أي تغيير في النظام السياسي، وانتقال المقاتلين إلى شمال سيناء أو ليبيا أو غيرها من الأماكن الأكثر جاذبية؛ وانخفاض تدفقات الموارد إلى الجماعات المسلحة؛ وتقييد حركة السفر من سيناء إلى بقية أنحاء مصر، أو لمزيج من هذه الأمور.

ورغم ذلك أكد التقرير على أن الهجمات المتقطعة في وادي النيل والصحراء الغربية لا تزال تمثل مصدراً للقلق، وخلص إلى أن الاستراتيجية الحالية للنظام المصري تبدو مؤهلة لتحقيق ايقاف هش لما سماها بالأنشطة الإرهابية بمصر في أفضل الأحوال، وقد تدفع ببساطة الجهات العنيفة إلى صقل استراتيجيات التجنيد الخاصة بها. وقال إنه رغم انحسار عدد الهجمات المبلغ عنها يومياً إلى حد ما، فإن مصر ما زالت في وضع مماثل لما كانت عليه عند إعلانها الحرب على الإرهاب. إذ فشل مَن يحكمون مصر، ويشرفون على هيئاتها الأمنية في تكييف تكتيكات تواكب التهديدات الأمنية المتطورة، وتطوير سياسة استراتيجية طويلة الأمد لمكافحة الإرهاب؛ أو تنفيذ برنامج شامل لمنع التطرف وفتح قنوات للتعبير السلمي عن المظالم، بدلاً من الاعتماد على العقاب الجماعي والتكتيكات المسيسة.



مكافحة الإرهاب

قال التقرير إن معدل عمليات مكافحة الإرهاب شهد تذبذباً هو الآخر، وأنه منذ يوليو ٢٠١٣ ، أبلغت الحكومة رسمياً عن ١٧٨٠ عملية أمنية في جميع أنحاء مصر، وأُبلغ عن ١٦٦٤ عملية إضافية عبر وسائل الإعلام الإخبارية. وقد أُبلغ عن حوالي ٣٩ % من هذه العمليات في شبه جزيرة سيناء، في حين أُبلغ عن ١٣ % في الجيزة والقاهرة. في حين لم يحدد حوالي ٢٠ % من نشاط مكافحة الإرهاب الرسمي المعلن عنه رسمياً المحافظة التي يُزعم أن النشاط وقع فيها. وقد أسفرت هذه العمليات عن مقتل ٧٠٩٧ شخصاً، واعتقال ما يزيد عن ٢٧٠٠٠ آخرين (حسب منهجية حساب المعهد للمعتقلين في عمليات مكافحة الإرهاب فقط)، وبلغ معدل الاعتقالات ذروته في شهر مايو ٢٠١٥ حيث وصل إلى ٣٠٧٠ حالة اعتقال.

وأكد التقرير على توقف وزارة الداخلية مؤخرا عن الإعلان عن حدوث اعتقالات، في حين زادت عمليات القتل خارج نطاق القانون، فقد أسفرت ٣% فقط من عمليات مكافحة الإرهاب خارج شمال سيناء خلال السنة الأولى من الحرب على الإرهاب عن حدوث وفيات. وبحلول عام ٢٠١٦ ، ارتفع هذا الرقم إلى ٢٣ %، وبحلول عام ٢٠١٧ ، أسفرت ٤٢ % من إجمالي عمليات مكافحة الإرهاب المبلغ عنها خارج شمال سيناء عن حدوث وفيات.

وتناول التقرير خلاله تشريعات وقوانين مكافحة الإرهاب التي أصدرها السيسي، كما أشار لتوظيف النظام للمنظومة القضائية في حملته ضد جماعة الإخوان المسلمين، وعدم قيام مجلس النواب بأي دور لمحاسبة المسئولين عن وقوع تجاوزات تجاه المواطنين. فضلاً عن مد حالة الطوارئ بشكل مخالف للدستور.

وكذلك استعرض التقرير التغييرات الجوهرية التي أجراها السيسي في وزارة الدفاع والمخابرات العامة ووزارة الداخلية، وخلص إلى أنها تشير إلى تضييق السيسي لدائرته الداخلية، وتعيينه للمسئولين بناء على درجة ولائهم له لا حسب كفاءتهم. وكذلك أشار إلى تكميم أفواه الإعلام، والتضييق على الصحفيين، وحجب ٥٠٠ موقعاً إلكترونياً.

كما تعرض التقرير للسياق الجغرافي السياسي للوضع في مصر، وأشار إلى رغبة واشنطن في الحفاظ على الاستقرار بمصر، مع الإشارة إلى أن هجمات النظام المصري العدوانية على حقوق الإنسان، والمجتمع المدني، ووسائل الإعلام، والاستمرار في العلاقات مع كوريا الشمالية، وإحباط واشنطن من النهج المصري لمكافحة الإرهاب من الأمور التي أضرت بالدعم غير المشروط من إدارة ترامب للسيسي، وهو ما انعكس على تجميد حصة من المساعدات العسكرية الأميركية المقدمة إلى مصر.

وفي المقابل فقد تعززت العلاقة الأمنية بين مصر وأوروبا منذ الانقلاب العسكري، فرغم بعض النقد الأوروبي الصريح لممارسات القاهرة الأمنية، فقد باعت الدول الأوروبية المزيد من الأسلحة لمصر منذ عام ٢٠١٤ أكثر من أي وقت مضى حتى أن قيمة صفقات الأسلحة الفرنسية المصرية تخطت صفقات مصر مع الولايات المتحدة.

كما أشار التقرير إلى توتر العلاقات المصرية الروسية على خلفية حادث سقوط الطائرة الروسية، مع بقاء روسيا شريكاً أمنياً رئيسياً لمصر، أما العلاقات المصرية الإسرائيلية فقد وصلت إلى أزهى صورها على الإطلاق، وشهدت تنسيقاً عسكرياً متبادلاً في مواجهة ولاية سيناء. وكذلك أشار التقرير إلى التقارب المصري الإماراتي، وضخ الإمارات لعشرات مليارات الدولارات من الاستثمارات في مصر منذ صعود السيسي إلى السلطة، فضلاً عن التنسيق المتبادل بين البلدين في الملف الليبي.

وخلص التقرير إلى أن تقليص حقوق الإنسان، وتقييد الحيز العام، والاعتماد على ممارسات خارج نطاق القانون، مثل الإعدام الناجز، والعقاب الجماعي، لم يخدم بفعالية هدف القضاء على الإرهاب المزعوم، وإنما تسببت في دفع البعض لحمل السلاح، وتنفيذ العدالة بعيداً عن الدولة. وهو ما أسفر عن مقتل قرابة ١٤٠٠ من أفـراد الأمن خـــلال الــســنــوات الخمس الماضية.

وأكد التقرير على عدم وجود مسوغات للتكاليف الاجـتـمـاعـيـة والاقـتـصـاديـة المرتفعة لهذه الأساليب، فهي لم تؤسس الأمن بشكل كاف؛ فقد وقع ١٨٢ هجوماً إرهابياً في العام الماضي وحده مما أسفر عن مقتل ٥٢٠ شخصاً، وهو عدد أكثر من عدد القتلى في الهجمات الإرهابية خلال العام التالي لإعلان الحرب على الإرهاب والبالغ ٣٦٣ شخصاً. وأنه رغم انخفاض وتيرة الهجمات ببقية أرجاء مصر عدا سيناء، فإن الوجود الحالي للعناصر المسلحة في سيناء، فضلاً عن ظهور ما يقرب من دستة من الجماعات المسلحة على مدى السنوات الخمس الماضية الموصوفة في هذا التقرير، يؤكد على هشاشة الفترة الحالية من الهدوء.



دور الجهاد في نشر رسالة الإسلام ٣

نعم.. انتشر الإسلام بالجهاد

مصطفى البدري

بعد المقالين السابقين (دور الجهاد في نشر رسالة الإسلام ١، ٢) وصلني التساؤل المشهور المُتكرر:

هل تعني أن الإسلام انتشر في أنحاء المعمورة بالسيف والقوة؟

وإن كان مجموع المقالات يحمل جوابا مفصَّلًا ومؤصَّلًا عن هذا السؤال، إلا أن تخصيص مقال واحد للجواب المباشر عنه أمر مهم كذلك.

حيث إنه سؤال يحمل في طياته اتهامًا وتشويهًا لهذا الدين أولًا، ويُريد وسمَه بأنه دين القتل وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح، ثم يحمل اتهامًا وتشويهًا لحملة هذا الدين بدايةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرورًا بصحابته الكرام، والأئمة الأعلام، وصولًا إلى أهل الإسلام في كل زمانٍ ومكان.

وحيث إن خبث السؤال يبدأ بوضع المجيب عنه في قفص الاتهام، فإنني أرفض الجواب عنه من هذا المكان الذي يريد خصمي أن يضعني فيه، وقد وجدت عامة من قبلوا الجواب من هذا الموضع قد خرجوا بما فحواه: أن الإسلام دين ضعيف هزيل لا يعرف للقوة سبيلًا ولا لحمل السلاح طريقًا!! حتى إنني قرأت كتابًا كاملًا في السيرة النبوية يؤصل لكون رسالة الإسلام سلمية من بدايتها إلى نهايتها.

ليس عجيبًا أن يخرج هذا السؤال أو أن يصدر من أعداء الدين؛ لكن العجيب هو ما يقوم به بعض دُعاة المسلمين حينما يشعرون بالتُّهمة عند سماع هذا السؤال، فبدلًا من أن يلبسوا لباس العزة والافتخار تراهم يلبسون لباس الهزيمة والانكسار.

كان الواجب على هؤلاء العلماء والدعاة ألا يقبلوا ابتداءً أن يكونوا في قفص الاتهام، لأن قبولهم يعني أن الجواب سيكون ضعيفًا هزيلًا، لأنه ليس من الموضع الصحيح، فيكون الجواب: أبدًا، لم ينتشر الإسلام بالسيف ولا بالقوة، بل انتشر بسبب حسن معاملة المسلمين لغيرهم، عبر القوافل التجارية وأشباهها.

وهذا في الحقيقة هروبٌ من الجواب الحقيقي؛ فالمسلم الذي يفخر ويعتز بدينه فضلًا عن الداعية أو عن العالم أو الشيخ، لن يكون جوابه بهذا الاختزال؛ لأن القوافل التجارية كان لها أثر لا يُنكر في إبراز أخلاق الإسلام، خاصةً مع اشتهار التجار المسلمين بالصدق والأمانة وحسن الخُلق، لكن هذا لا يكفي لانتشار الدين واعتناق الناس إياه.

الأخلاق قد تؤثر في الرجل والرجلين أو جماعة قليلة من الناس، لكن العامة والجماهير المُتكاثرة لا تُغير دينها ومعتقدها بمثل هذا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقًا، ورغم ذلك كَفَر به عامة قومه، وكذبوه، وهو المعروف بينهم عليه الصلاة والسلام بالصادق الأمين، وما آمن من أهل مكة إلا القليل، وكان حسن الخلق صفة ملازمة للأنبياء والرسل جميعًا، ورغم "يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويأتي النبي ومعه الرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد".



وترى في المقابل قول الله تبارك وتعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}؛ يعني بعد النصر وبعد الفتح يدخل الناس في دين الله أفواجًا، وهذا ما حصل بالضبط مع أهل مكة، رغم أن أغلبهم وعامتهم كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، إلا أن الأمر انعكس تمامًا بعد الفتح، ودخل عامة أهل مكة في دين الإسلام.

بل إن مصر وبلاد المغرب[1] دليل واضح على ذلك، حيث استغرق فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرابة أربع سنوات، أمّا المغرب.. فقد زادت مُدة الفتوحات فيها عن نصف قرن من الزمان، حتى تم تخليصها من البيزنطيين، ودخل أهلها في دين الإسلام، ومن المعلوم أن ثلاثة من القادة المشاهير قد تناوبوا في هذه المعارك وهذه الفتوحات في بلاد المغرب العربي؛ عقبة بن نافع الصحابي الجليل رضي الله عنه، وبعده حسان بن النعمان، وتلاه موسى بن نُصير، واستمرت الفتوحات بعد ذلك حتى طارق بن زياد الذي دخل بلاد الأندلس شمالاً وعبر المضيق، وتحول سُكان هذه البلاد من دياناتهم الأصلية، وكان أغلبها النصرانية وكان فيهم بعض اليهود، تحولوا من ديانتهم التي كانوا عليها، ودخلوا في دين الله تبارك وتعالى (الإسلام).

وما ولدتُ أنا في مصر مسلمًا ولا أنتم في بلادكم إلا بفضل الله تبارك وتعالى ثم هذه الفتوحات العظيمة التي جابت مشارق الأرض ومغاربها، وقبور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم شاهدةٌ على ذلك، فعامة الصحابة لم يدفنوا في المدينة، التي كانوا فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إنك تجد أسماء مشاهير: أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قبره في القسطنطينية (إسطنبول)، خالد بن الوليد قبره في الشام أو بالتحديد في مدينة حِمص، عقبة بن نافع المشهور أنه دُفن في الجزائر، وفي مصر عمرو بن العاص، وغيرهم.

إذا أردنا أن نُجيب على هذا التساؤل فنُجيب بكل عزةٍ وافتخار أن الإسلام لم يصل إلينا إلا عبر رفع راية الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، وعبر هذه الفتوحات؛ فما قامت حضارة من الحضارات إلا بوجود قوات عسكرية تقوم برفع رايتها، تتحرك لنشر أفكارها وثقافتها وإقناع الناس بما فيها.

إذن.. كيف نفسر انتشار الإسلام في بلاد لم تصلها جيوش الفتح؟

نعم، انتشر الإسلام في بلاد واسعة لم تصلها جيوش الفتح، بل إن المؤرخ المعروف د. حسين مؤنس يقول بأن ثلث عالم الإسلام فقط هو الذي وصلت إليه الجيوش وبقية الثلثين إنما فتحها الإسلام بهذا الانتشار الدعوي والأخلاقي وعبر قوافل التجار ونحوه.

(1) عندما نقول المغرب، فالمقصود غرب مصر، ليبيا وتونس والجزائر وصولاً لدولة المغرب على ساحل المحيط الأطلسي. فهذه المنطقة كلها كانت تُسمى بلاد المغرب.

لكن الشيء المهم الذي لا بد من إضافته بعد كلام د. مؤنس هو أن هؤلاء التجار وهذه الحالة الدعوية لو لم تكن مستندة إلى دولة إسلامية قوية وواسعة تمثل القوة العظمى العالمية وقتها لم يكن ليكون لها نفس هذا الأثر الواسع في نفوس الناس.

لولا هذا الثلث المفتوح بالقوة والذي تكونت به دولة إسلامية قوية ما كان سيتوفر لهؤلاء التجار نفس الألق والتأثير في الناس.. إنما استمدت أخلاقهم تأثيرها مضاعفاً لكونهم ينتمون إلى حضارة قوية ودين كبير ودولة عظمى!

أي أنه لولا الثلث المفتوح بالجهاد لم يكن للثلثين الآخرين أن يُفتحا بمجرد الدعوة والأخلاق.



ونحن في أيامنا هذه نرى هذا واقعاً في حياتنا، فنحن نتأثر بأخلاق وسلوكيات وأفكار الأوروبيين أكثر من تأثرنا بأخلاق وسلوكيات وأفكار وعقائد الصينيين واليابانيين والروس، وأكثر المرتدين عن الإسلام في بلادنا يتجهون إلى الإلحاد على الطريقة الغربية أو إلى المسيحية الكاثوليكية والبروتستانية (الغربية) ولا يتجهون إلى البوذية أو الكونفوشيوسية أو الأرثوذكسية أو الهندوسية.

وهنا يُطرح تساؤل آخر مهم: ما هي الغاية من تشريع الجهاد؟

الجواب: الغاية من تشريع الجهاد هي نفس الغاية من ابتداء الخلق، وهي تحقيق العبودية الكاملة لله تبارك وتعالى في كونه، والأدلة كثيرة جدًا على أن غاية هذا الجهاد الأكبر هو تعبيد الناس لله عز وجل وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض، وإخلاء العالم من الفساد.

من أظهرها قول الله عز وجل -كما في سورة البقرة-: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةُ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}، وفي آية الأنفال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

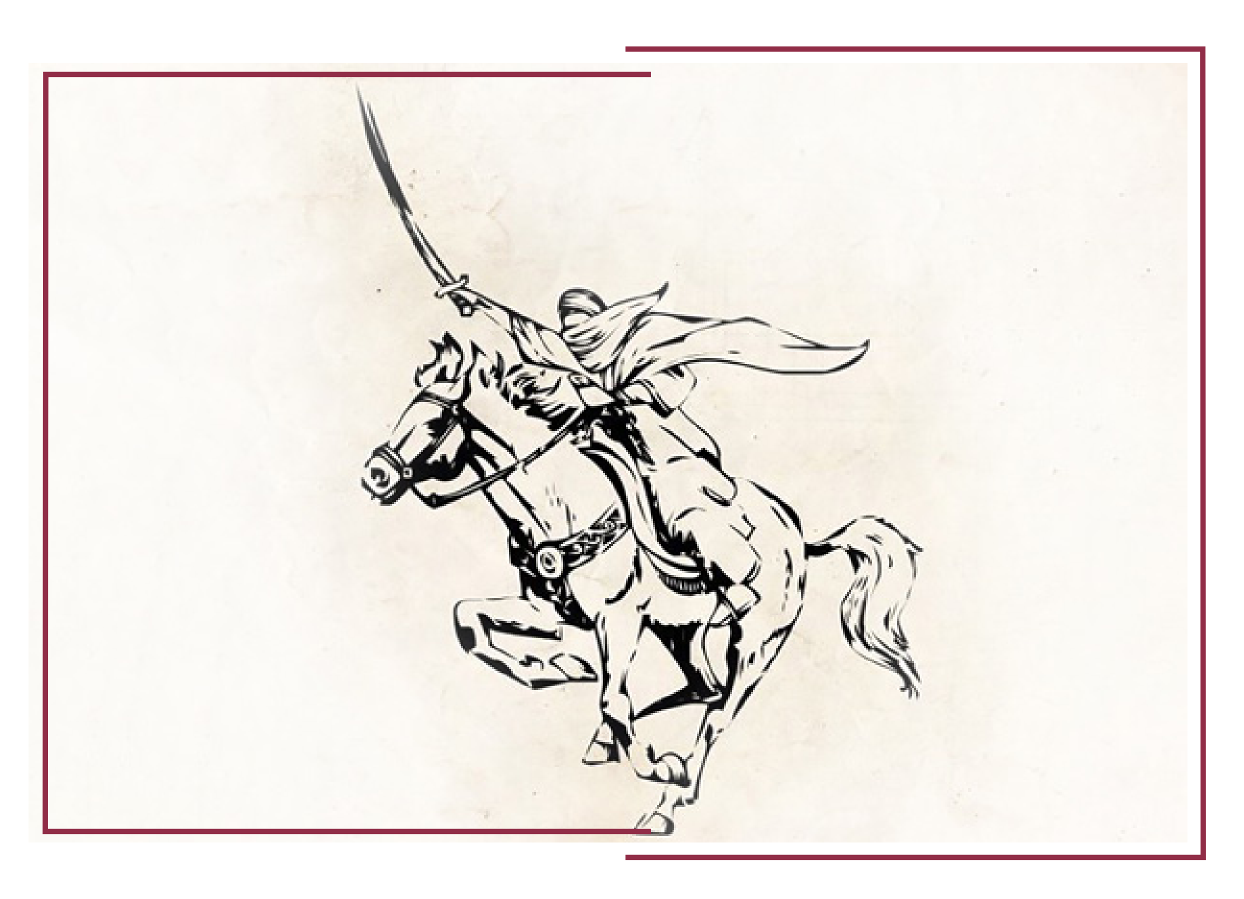
قال ابن كثير رحمه الله: ثم أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة؛ أي شرك، يعني حتى لا يكون شرك، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع وغيرهم...قال ابن كثير: ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان. اهـ وقال ابن جرير الطبري: فقاتلوهم حتى لا يكون شركٌ، ولا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله لله وحتى تكون الطاعة والعبادة كُلها لله خالصةً دون غيره. اهـ

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية، وهي ألا تكون فتنة، وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المُخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يَحِلّ قتاله. اهـ

وفي صحيح البخاري قصة مشهورة واضحة للدلالة على هذا، فيها قال المُغيرة بن شعبة الصحابي الجليل لعامل كسرى: أمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نُقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية. وهذا الحديث ظاهر في هذا الأمر الذي نعنيه وهو أن الغاية من الجهاد هي تعبيد الناس لرب العباد سبحانه وتعالى، وأثر ربعي بن عامر المشهور: ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

لكن هل يعني هذا إكراه الناس على الدخول في الإسلام؟ هل شرع الله عز وجل الجهاد من أجل إكراه الناس على الدخول في الإسلام؟

الجواب: بالطبع لا، فالإسلام لا يقبل إلا من دخل في الدين مُخلصًا صادقًا شاهدًا بشهادة الحق برضا كاملٍ عن هذا الدين؛ الإسلام لا يريد وجود المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وإن كان يقبل منهم خضوعهم الظاهر للدين وتشريعاته.



فإذا أردنا أن نختصر المسألة كلها فنقول بوضوح: إن الدولة في الإسلام توسعت بالسيف والقوة كما توسعت كل الدول، لكن الإسلام لم ينتشر بالإكراه.. كان السيف يزيل الأنظمة الحاكمة القاهرة التي استعبدت الناس وأذلتهم وحكمتهم بالعنف والعسف، ولم يكن السيف يفرض الإسلام على أحد، وقد عجز المؤرخون المتعصبون ضد الإسلام عن رصد حالات إجبار لغير المسلمين على اعتناق الإسلام. بل إن بقاء كافة الأديان القديمة في بلاد الإسلام حتى اليوم هو أهم وأكبر الأدلة على هذا. بينما أوروبا نفسها لم تحتمل وجود مسلمين فيها فأقامت محاكم التفتيش وعمليات الطرد والإبادة منذ إسبانيا في القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين (بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية) ثم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عند أواخر القرن العشرين).

والمعنى الصحيح هو: أن الجهاد شُرع لإزالة الموانع والعوائق التي تحول بين الناس وبين معرفة الإسلام على حقيقته -كما قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة-: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ}، وآية سورة الكهف كذلك: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}.

فلابد أن يظهر الدين ويقيم نظامه، ويتضح للناس بشكلٍ كاملٍ غير منقوص ولا مُشوّه، وكما يظهر للناس عدالته وعفوه وسماحته، كذلك يظهر لهم شدته وقسوته مع المفسدين في الأرض الذين يحاربون الله ورسوله، وهذا لا يتحقق أبدًا إلا في ظل وجود قوة رادعة.

وهذه هي المعاني الظاهرة من هدف جهاد المسلمين حتى تزول العوائق والموانع أمام الناس لمعرفة هذا الدين، ومن ثم الدخول فيه.

صاحب كتاب "أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية" يُسمي هذا المعنى إزالة الفتنة عن الناس، وهو بذلك يُعيد المعنى إلى الآيات الكريمة التي ذكرناها، إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائقٍ، وحتى يروا نظام الإسلام مُطبقًا ليعرفوا ما فيه من عدلٍ وإصلاحٍ للبشر، وما فيه من سمُوٍّ في شتى المجالات.

ثم قال الشيخ: والفتنة أنواع ثلاثة:

النوع الأول: ما يُمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين؛ ليرتدوا عن دينهم، وبالطبع لا بد من الجهاد حتى تُرفع هذه الفتنة على المسلمين، وحتى لا يتعرض المسلمون لوسائل التعذيب والتضييق التي مروا بها في مراحل الاستضعاف، ونمر بها الآن، ويمر بها كل مسلم في مكانٍ هو فيه مستضعف أو في زمان هو في مستضعف.

ويكون دور الجهاد هنا هو الحفاظ على دين المسلم من التبديل وعقيدته من التلاعب.

النوع الثاني: من الفتنة هو: الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من انتشار الفساد والانحراف في شتى مجالات الحياة.

النوع الثالث: من الفتنة هو: فتنة الكُفار أنفسهم وصَدُّهم عن استماع الحق وقبوله؛ لأن الدولة عندما تكون خاضعة لنظامٍ كافر، فطبيعة الحال أنها تمنع المسلمين من أن يُخاطبوا أهل هذه البُلدان؛ وهل يُعقل أن تأتي دولة كافرة بدعاة مسلمين تقول لهم: ادخلوا إلى بلادنا وانشروا الدعوة وعلموا الناس الإسلام وعرفوهم بحقيقة الإسلام؟ هذا غير وارد وغير ممكن؛ وما يحدث حاليًا من السماح ببعض المراكز والمؤسسات الدعوية في بلاد الغرب، ما هو إلا محض خداع وكذب.

لأنهم لا يسمحون بعرض الإسلام كما أُنزِل، بل يسمحون بعرض الإسلام العصري المعتدل كما يريدونه هم، إسلام لا يعرف شيئًا اسمه الولاء والبراء، إسلام لا يسمى غير أهله بأنهم كفار؛ إنما يسميهم (الآخر)، ولا يطلق على الخارجين عنه والمارقين منه أنهم مرتدون، إسلام لا يعرف شيئًا اسمه الجهاد في سبيل الله، ولكن الجهاد من أجل الوطن الذي يحميك وتعيش في كنفه حتى لو دعاك ذلك لقتل إخوانك المسلمين في بلد آخر، كما فعلت بريطانيا عندما جَنّدَت المسلمين الهنود في صفها حال حربها مع العثمانيين، وكما فعلته أمريكا عند حربها على أفغانستان والعراق!!

إسلام مُشَوَّه مبتورٌ مقطوع الصِّلة عن ثوابته ومبادئه كقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ} وقول نبيه: "المسلم أخو المسلم" وغيرها.



وهذا هو الطبيعي عندما يُعرَض الإسلام تحت سلطان غيره، فكان لابد من الجهاد حتى يُعرَض تحت سلطان نفسه. تصديقًا لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} لأنهم حتما يكرهون ذلك.

ونستحضر هنا ولابد قول الله عز وجل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده، من بعد قيام الحُجة عليه؛ ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاثة عشر سنة تُوحَى إليه السور المكية وكلها جدالٌ مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وتبيان ودلائل.

فلما قامت الحجة على من خالف، شرَع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والْهَامِ لمن خالف القرآن وكذّب به وعانده. اهـ

ويقول ابن القيم عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: وبعَثَه -أي: الله عز وجل- بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يُعبد سبحانه وحده لا شريك به، وجُعل رزقه تحت ظل سيف ورمحه [٢]، وقال أيضًا رحمه الله: فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحُجة والبرهان وبالسيف والعنان، فكلاهما في نصره -أي: في نصر الإسلام- أخوان شقيقان. اهـ

وآخر ما أريد قوله هنا هو: لعلنا الآن عرفنا لماذا يعيش المسلمون حاليًا حالات الضعف والهوان أمام أعداء الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سَلَّط الله عليكم ذُلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [٣] .

والحديث الآخر المشهور: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت" [٣].

---

(٢) وهذا المعنى ورد في حديث رواه الإمام أحمد عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذّلّ والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم". وقال الألباني في الإرواء: صحيح.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن ابن عمر، وهو في صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان، وهو في صحيح الجامع.

وبالطبع قال الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة ٣٨ : ٣٩].



يعني: أن الله عز وجل توعّد بالعذاب والعقاب مَن ترك الجهاد في سبيله، والمقولة المشهورة: ما ترك قومٌ الجهاد إلا ذُلوا. نسأل الله العفو والعافية.

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال رحمه الله: وليس العذاب الذي يتهددهم هو عذاب الآخرة فقط، بل عذاب الدنيا والآخرة، عذاب الذلِّ يُصيب القاعدين عن الجهاد، عذاب الحرمان من الخيرات التي يستفيد منها العدو الكافر ويُحرمها أهلها، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الجهاد، ويُقدِّمون على مذابح الذل أضعافَ ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة أضعاف ما كان يتطلبه منها جهاد الأعداء. انتهى كلامه رحمه الله.

والله من وراء القصد



مادة حصرية

مذكرات الشيخ رفاعـي طه (9)

من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

كنا البديل للذي لم يكن يعجبنا.. أما أنتم فماذا تفعلون؟

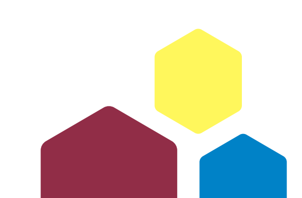
كيف انقلب مسـاري الدراسـي، وكيـف فشلـت فـي دخـول الطب أو الهندسة

كانت الدولة ترغب فـي نشر التدين الصوفي، ويمكنك أن تكـون صوفياً واشتراكياً معاً!!

قبل حرب أكتوبر لم يكن أحد يفكر في تحرير سيناء.. كان التفكير في تحرير فلسطين وسوريا!

● لقراءة الحلقات السابقة:

- تـمـهـيـد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقـة الأولـى: طفولة بسيطة في قرية مغمورة بالصعيد المجهـول
- الحلقة الثانيـة: أول الطريق إلـى المسجد، وأول الطريـق إلـى السياسـة
- الحلقـة الثالثـة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلاميـة
- الحلقـة الرابعـة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولـة
- الحلقة الخامسـة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال
- الحلقة السادسة: قصتـي مـع التصـوف
- الحلقة السابعة : قصـة ثـورة فـي المدرسـة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي



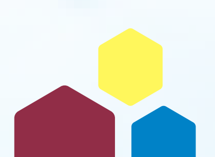
لم يكن ثمة شك في أني سألتحق بكلية الطب، لقد كنت من المتفوقين طوال حياتي الدراسة، وقد التحق رفاقي السبعة بالفعل بكلية الطب، إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن..

كان صديقي أحمد سالم هو رفيقي في مقعد الدراسة أيضاً، وكانت صداقتنا قوية ومنعقدة على التفوق والحب أيضاً، وقد بلغنا من التفوق ولا بأس أن نقول هنا: من الغرور أننا فكَّرنا في اختراع قوانين رياضية لحل المسائل، فإن كنا نحلُّ المسائل وفقاً لقوانين وضعها آخرون فلسنا بأقلَّ منهم شأناً لنضع نحن أيضاً قوانين تُحَلُّ بها المسائل.

كنت أنا وهو نكمل بعضنا البعض في هذا الجانب الدراسي، وقد جاء اليوم الذي وضعنا فيه قانوناً لحل المسائل الرياضية (فرع الجبر) بعد أن هدانا تفكيرنا إليه، وجربناه على ثلاثين مسألة فكانت النتائج صحيحة، فقلت لصديقي: لا يمكن لقانون أن يكون خطأً بعد حل ثلاثين مسألة، وبدا أننا قد وصلنا سريعاً إلى ما نصبو إليه، فهرعنا إلى الأستاذ عبدالوهاب أستاذ مادة الرياضيات وعرضنا عليه القانون الذي وضعناه فجرَّبه على عشر مسائل أخرى فإذا بها تنحل وتعطي النتائج الصحيحة، ودهش الأستاذ، ساعتها لم يخامرنا شكٌّ في أننا وضعنا قانوناً جديداً في علم الرياضيات، ثم أخذنا إلى أستاذ آخر كان مدرساً أول لمادة الرياضيات، وعرضنا عليه القانون الجديد فجربه على مسألتين فلاحظ شيئاً خاطئاً مركباً في القانون وفي تطبيقنا له، وهذا الخطأ المركب هو الذي كان يفضي في النهاية إلى خروج الحل الصحيح للمسائل التي نجربها عليه.

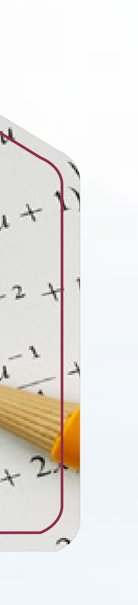
للأسف لم تعش فرحتنا إلا أمداً قصيراً، لكنني أسرد هذه الحكاية هنا وصفاً لما كنا فيه من التفوق ومن علاقتنا ومن إكمالنا لبعضنا، وهو ما له متعلق بسؤال: لِمَ لَمْ أدخل كلية الطب؟

كانت خطتي في المذاكرة والامتحانات أن أحصل على الدرجات النهائية في مواد العلوم والرياضيات ولا أسمح لنفسي بالنقصان ولو درجة واحدة، إذ إن مواد اللغة العربية والإنجليزية مما يصعب الحصول فيها على الدرجات النهائية فلتكن هي وحدها المواد التي سأنقص فيها بعض الدرجات. وجاء اليوم الأول في الامتحانات وكان فيه امتحانان: اللغة العربية والجبر. وقد أديت أداءً حسناً في امتحان اللغة العربية ثم دخلت إلى مادة الجبر التي لن أسمح لنفسي فيها بنقصان درجة واحدة!



من مفارقات الأقدار أن واضعي امتحان الجبر في تلك السنة أخطؤوا ووضعوا سؤالاً خاطئاً، لكن الطلاب لم يعرفوا أنه خاطئ وإنما تصوروا أنها مسألة صعبة، وكانت هذه المسألة هي السؤال الثاني من بين أربعة أسئلة يتكون منها الامتحان، وقد تكهرب الطلاب لهذا السؤال العسير إلا أن معظمهم فعل ما هو طبيعي منطقي، أنهم تجاوزوه ليحلوا باقي الامتحان، أما أنا فلم أفعل! إذ كيف لمتفوق مثلي كاد أن يضع قانوناً في الجبر أن يتوقف أمام مسألة؟! لقد كنت مشهوراً بأني لا تقف أمامي مسألة أبداً حتى أن مدرساً استعان بي يوماً لحل مسألة تعسرت عليه، ثم كيف لمثلي أمام مسألة في امتحان عزم على أنه لن ينقص فيه درجة واحدة؟! وتحول الأمر إلى ما يشبه المعركة الشخصية والتحدي الخاص، ظللت أمام المسألة (الخاطئة أصلًا) أقلبها يمنة ويسرة وأدور حولها أماماً وخلفاً وهي لا تنحل، وهكذا حتى مرَّ نصف وقت الامتحان أمامها، ولما شعرت بالأزمة والاختناق هرعت إلى إكمال بقية الأسئلة لكنني لم أدرك الحل، وانتهى الوقت وأُخِذَت الورقة مني وقد تركت سؤالين كاملين.

انتهى يوم الامتحانات الأول بصدمة غير متوقعة ترتب عليها إحباط شديد، كما ترتبت عليها نتيجة أسوأ وهي سوء سلوكي في المواد الأخرى بعد أن أدركت ضياع حلمي على يد مادة الجبر، ولم ألبث أن عرفت صباح اليوم التالي أن المسألة خاطئة من الأصل وأن درجاتها ستوزع على أسئلة الامتحان الأخرى فزاد همّي وغمّي، ولهذا السبب حصلت في الثانوية العامة على ٧١ بالمائة.



لم تكن هذه الدرجة سيئة، بل كانت تؤهلني لدخول المعهد العالي الصناعي في المنيا، ولم يكن هذا بعيداً عن طموحي في دراسة الهندسة، إذ لن يلبث المعهد أن يتحول إلى كلية الهندسة، وهو التحول الذي حصل في نفس هذه السنة، إلا أن رغبتي في كلية الطب كانت أقوى وكانت تهيمن علي بشدة، فقررت أن أدخل كلية التجارة لاعتقادي أنها سهلة، وأنني سأتمكن من أن أعيد الثانوية العامة بالتوازي مع دراستي فيها، فلقد عزمت على أن أعيد سنة الثانوية العامة لأتمكن من دخول كلية الطب من جديد.

إلا أن رياحاً أخرى أشد جاءت بما لا تشتهيه السفن! لقد كنت أجهل إجراءات إعـادة القيد في الثانوية العامة، لقد ظننت أن بإمكاني الالتحاق بالامتحانات في نهاية السنة، ولم يكن لي علم بضرورة التسجيل في المدرسة لهذا الغرض حتى فات وقت إعادة القيد وانتهى، لم أكتشف هذا إلا حين تحدثت مع صديقي عبدالجواد الذي كان رفيقاً في سكن الرابطة (تشبه المدينة الجامعية) في قنا، حين سألني: في أي مدرسة سَجَّلت لإعادة امتحان الثانوية العامة؟ فقلت ببساطة: حينما أنهي امتحانات كلية التجارة سأذهب لأمتحن في إدفو، فسألني: هل أعدت قيدك في إدفو؟! فقلت: لا، فقال: كيف؟! لقد انتهى وقت التسجيل وإعادة القيد!

وقعت الصدمة فوق رأسي، وبكيت بكاءً شديداً في تلك الليلة، وحاولت من الصباح أن أعيد تسجيلي لامتحان الثانوية العامة وبذلت كل ما أستطيع إلا أنني لم أنجح، وزاد همِّي وغمِّي أضعافاً مضاعفة، لقد فاتني حلمي في الطب حين توقفت أمام هذه المسألة التي كانت أصلًا خاطئة، ثم لم أدخـل كلية الهندسة لكي أحفظ لنفسي إمكانية إعادة امتحان الثانوية العامة، ثم ها أنا أكتشف أن امتحان الثانوية العامة نفسه قد ضاع أيضاً! وتذكرت يومها صديقي ورفيق الدراسة أحمد سالم الذي التحق بكلية العلوم وألحَّ علي أن أدخلها معه لنتفوق معاً ولنكون من بعدها أساتذة بالكلية، إلا أنني واجهت إلحاحه بإلحاح مقابل: أني إنما دخلت كلية التجارة لإعادة امتحان الثانوية العامة!



تحطمت آمالي، وصرت في موقف لم يمرّ علي مثله من قبل، وكرهت كلية التجارة التي صارت سجني من بعد ما كنتُ أظنها وسيلتي ومعبراً لي إلى ما أحب، فلم أهتم بـأن أذاكـر، ونجحت بصعوبة في السنة الأولى، ووجدتني أنجح بصعوبة بينما صديقي أحمد سالم الـذي طالما ألـحَّ على أن أكـون معه قد نجح بتقدير جيد جداً في كلية العلوم، وبقية أصدقائي بين الطب والهندسة، وهكذا انتهى مساري الدراسي أسـوأ نهاية: لا أنا تفوقت في الثانوية العامة، ولا دخلت الطب، ولا دخلت الهندسة، ولا استطعت العودة إلى الثانوية العامة، ولا تفوقت في كلية التجارة!



حصل هذا كله في أول عهد السادات، أو كما كان يقول "دولة العلم والإيمان"، وقد كنتُ حتى ذلك الوقت في الاتحاد الاشتراكي، فكنتُ مع التيار اليساري ضد السادات، لا سيما وقد كانت الأخبار تنقل أخبار التوتر في العلاقات بين السادات والاتحاد السوفيتي وأن السوفيت لا يعطون الأسلحة الضرورية التي يحتاجها السادات وأن هذا ما يؤخر التحرك العسكري، ولهذا فلن يكون عام ١٩٧١ هو عام الحسم كما كان يقال لنا.

مر عام ١٩٧١، ثم وراءه ١٩٧٢، ولا حسم ولا حرب، فشرع اليسار المصري بتنظيم مظاهرات كثيرة، وكنت أشارك فيها كطالب عادي أو كمواطن مصري، مجرد مشاركة ليس فيها تزعم، ففي ذلك الوقت لم تكن قضايا الشأن العام تشغلني كثيراً، وسائر ما كان مني قبل هذا إنما كان بسبب إغراء تجربة عبدالناصر في الانقلاب العسكري، وكان دخولي الاتحاد الاشتراكي لطبيعة تفوقي الدراسي، ولذلك فقد كنت حتى تلك اللحظة عضواً في الاتحاد الاشتراكي وعضواً في الطريقة الصوفية.

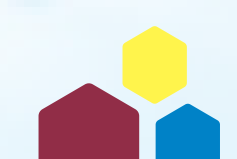
ولم يكن الجمع بين عضوية الاتحاد الاشتراكي والصوفية عملاً متناقضاً آنذاك كما قد يبدو الآن، بل إن كثيراً من قيادات الدولة كان يغلب عليها الطابع الصوفي، حتى في أمن الدولة، وكان رئيس مجلس المدينة صوفياً، ومأمور القسم صوفياً. والجمع بين ذلك بسيط: فالتدين على الشكل الصوفي تدين مرغوب فيه من جانب الدولة، وأستطيع أن أشهد على هذا من واقع ما رأيته وعاينته، بل لقد كان جزءاً من الدعاية الإعلامية لعبدالناصر أنه مدعوم من الأقطاب الصوفية الأربعة، ومما كان ينتشر في زماننا أن بريطانيا ألقت قنبلة ذرية على القاهرة فصدَّها عن القاهرة شيخ الصوفية الأكبر في مصر، وذلك أنه صعد في السماء وأمسك بالقنبلة ثم أراحها على قبة الجامع الأقمر فلم تنفجر، ولا تزال موضوعة فوق القبة حتى الآن. فمن هاهنا كانت الهالة الإعلامية حول جمال عبدالناصر تحتوي طيفاً صوفياً فلم يقع التناقض في نفوس الكثيرين بين عضوية الاتحاد الاشتراكي وعضوية الصوفية.

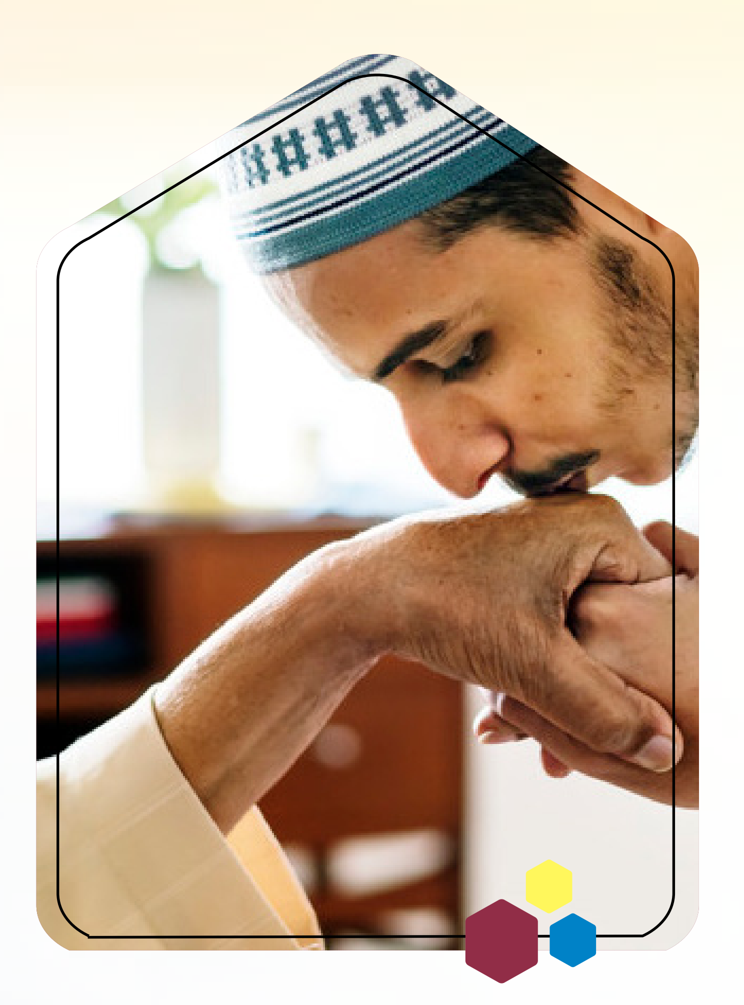
بل كـان المـُوَجِّهون فـي الاتحاد الاشتراكي يغلب عليهم الطيبة، بل كان المـُوَجِّه العام على مستوى أسوان واسمه الأستاذ سعد وكان مُصَعَّدًا من الطبقة العمالية، ودخل لانتخابات حتى صار الأمين العام على مستوى أسوان، وكان شاباً في الثلاثينات من عمره، وكان يتحدث عن إصلاح الدولية وكيفية بنائها، وهو هو نفسه كان يؤمنا في الصلاة. إلا أنهم أخذوا من الاشتراكية ما وافق شهوة الشباب، فكانوا يأخذون منها العلاقات المحرمة مع الفتيات وأن يكون بينهم علاقة خارج الزواج، وتلك من الأمور التي دفعتني لترك الاشتراكية والتوجه للتيار الإسلامي الذي كان يتشكل في أعوام **١٩٧٤ ، ١٩٧٥** م.

وفيما قبل حـرب أكـتوبـر كـانـت تـسـود حـالـة مـن الغليان تشمل جميع الشباب بلا استثناء، وكـان التفكير السائد هو التفكير في تحرير فلسطين، لـم يـكـن أحـد يـنـادي بتحرير سـيـنـاء بـل ولـم نـكـن نشعر أن سـيـنـاء هي المحتلة بقدر ما كنا نشعر أن المعركة حـول فلسطين بـل وسـوريا أيضاً.

لكن قبل الـذهـاب إلـى وصـف مـا حصل في حـرب أكـتـوبـر أحـب أن أتوقف هنا في نبذة مهمة عـن العلاقة بيننا وبين آبائنا وأهالينا في هـذه الفترة: ليس ثمة شيء متميز في أسرتي، كانت أسـرة عادية، متوسطة أو حتى أقل من المتوسطة، وفيما يخص مثلاً أني لم ألتحق بكلية الطب أو الهندسة، كان أبي يشعر بأنني طالب متميز ومتدين، وكان يشعر أن هذا حدث بقدر الله، لم يكن متديناً بل مسلماً عادياً ولكنه كان متوكلاً على الله للغاية، فكان يقول: هذا قدر الله، وأنت على كل حال ستذهب إلى الجامعة. كانت ثقافة الناس وقتها أن الطالب طالما سيدخل الجامعة فالفارق ليس كبيراً بين الكليات. وكان يعزز من شعوره هذا أن أصدقائي حين كانوا يزورونني في البيت كانوا لا يتحرجون من إظهار اعترافهم بتفوقي وتميزي وأن المسألة حظوظ في نهاية الأمر. نعم، كان هذا يزيد من حزنه ولكن كان يزيد أيضاً من تعاطفه وتشجيعه لي، وهكذا كانت أمي وكان إخوتي.. لقد كانوا يتخذونني قدوة!

وتلك عـلـى الحقيقة لم تكن مزية خاصة بي، وهذا هــو مـا أريد التركيز عليـه هنـا، لقد كان جيلنا هذا من الشباب هو الجيل الـذي قاد آباءه وأثَّر فيهم أكثر بكثير ممـا قـادوه وأثروا به، إن قصتي مع أهلي هي قصة مكررة لإخـوة الجماعــة الإسلاميـة مـع أهاليهـم، وأتذكر هاهنا مثلاً معبراً:





كنت أذهب مع أبي لشركة بيع المصنوعات المصرية، والتي كان عُمَّال المصنع يأخذون منها حاجتهم، فكنت أقف مع أبي في الصف، وكان يريد أن يتقدم الناس لأولوية أنه عامل، وكان الذي يبيع يتحرج من نهره كما ينهر غيره من الناس إن تجاوزوا أدوارهم لكونه من عمال المصنع، فكنت أنا الذي أقول له: يا أبي لا بد أن نلتزم دورنا، وإذا أحببت ألا تقف لطول الوقوف فاجلس وأنا أقف مكانك في الصف حتى يأتي دورك. وحين يقع مثل هذا الكلام أمام الناس والعاملين كانوا يأذنون لنا في أن نتقدم عليهم ونأخذ أولاً.

هكذا كان الآباء يشعرون تجاهنا بشعور الاعتزاز والفخر، لم نكن مثل أبناء اليوم مع آبائهم، أولئك الذين يغلب عليهم التمرد، وإني حين أقارن بين علاقتي مع أبي وعلاقتي مع ابني عمار مثلاً أرى أن أبي كان ينصحني بألا أتهور وألا أواجه السلطة، وكان يُذَكِّرني دائما بأننا لا نستطيع مواجهة الحكومة، يقول: لدي أبناء غيرك وأريد أن أربيهم وأرعاهم كما ربيتك ورعيتك. وعندما أطلقت لحيتي قال لي: ليست لدي مشكلة في هذه المسألة لكن إن اعتقلوك فمركز ادفو بعيد عنا ولن أستطيع حتى أن أساعدك.

ومن المواقف الطريفة المتعلقة بهذا الأمر أنني عندما اعتقلت سنة **١٩٨٢** جاءني لزيارتي في معتقلي بالقاهرة، فذكّرته بهذا وقلت: جئتني إلى مصر (القاهرة) وليس ادفو؟! فقال: ألا زلت تذكر؟! وهل هناك من يترك ابنه، وبكى! فقلت له: ما رأيك يا أبي أني إذا خرجت من المعتقل فسأحلق لحيتي، فقال: إن فعلتَ فلست ابني. لم أكن جادًّا بطبيعة الحال وإنما كنت أحاول اختبار موقفه!



أما بالنسبة لابني عمار فإني أقنعه أن يخرج في المظاهرات فيشارك إخوانه والشباب فيرفض، ويجادلني قائلا: لم نفعل شيئاً في الجماعة الإسلامية طوال عشرين سنة، ثم يقول: اترك لي اختيار الطريق الذي أريده. وهكذا، كنت أحث أبي على الفضيلة، ثم إني أحث ابني على الفضيلة، كأن الموضوع قد انعكس تماماً. لقد أثبتت التجربة أننا كنا ثوريين أكثر من أبنائنا!

شباب جيلنا أنشأ الجماعة الإسلامية من لا شيء، فإذا قلنا الآن إننا فشلنا وإن الإخوان فشلوا فأين الجيل الجديد؟ أين الذي ينشيء تنظيماً جديداً يكون بديلاً لهذه التجارب التي يراها فاشلة؟! نحن في جيلنا كنا البديل لما نراه قد فشل، كنا بديلاً للإخوان حين لم يعجبنا سلوكهم، كانت ردة فعلنا إنشاء جماعة جديدة، كنا نطمح ونتحفز ونخطط لنقوم بانقلاب عسكري ولنقود ثورة شعبية ولنحكم مصر، وكنا ساعتها في العشرينات، أما شباب العشرينات اليوم فنحن نحاول أن نقنعهم بالعمل!

كانت وقفة لا بد منها، قبل أن أدلف إلى ما حصل في حرب أكتوبر..

حركات التحرر الإسلامية والاستراتيجيات الأمنية

إسلام زعبل



الحقيقة أننا نحيا في ظل عالم تحكمه وتسيطر عليه خُطط واستراتيجيات أمنية، موضوعة له بدقة من قِبل أجهزة أمنية عالمية وإقليمية ومحلية، يتمتع أفرادها بحس أمني عالٍ موضوع لهم بمنهجية علمية دقيقة؛ فالأجهزة الأمنية للمؤسسات والدول والأفراد يمكننا أن نشبهها بالجهاز المناعي للجسد؛ فهو الذي يحميه من الأمراض ليكون قوياً متأهباً باستمرار للدفاع وصد أي هجوم خارجي يتعرض له وعلاج أي خلل داخلي. فإذا طبقنا هذا على الجماعات وعددنا أن الجماعة هي الجسد، وقلبها أيديولوجيتها، وعقلها تنظيمها، فيمكننا القول بأن مناعتها متمثلة في جهازها الأمني.

فالعمل الأمني أحد الموضوعات المهمة التي ينبغي على حركات التحرر الإسلامية أن توليها اهتماماً عظيماً، خاصة مع تطور أساليب المواجهة بينها وبين خصومها، وتبدو أهمية الأمن واضحة وجلية في أثرها على بعض الجماعات والحركات التحررية في منطقتنا العربية؛ فقد أدت الضربات المتتالية من الأجهزة الأمنية وأجهزة الاستخبارات إلى تغيير واضح في خطط هذه الجماعات؛ مما آل بها في أحيان كثيرة إلى الركون والمداهنة، وذلك بسبب عدم امتلاكها الأجهزة الأمنية المناسبة لصد هذه الهجمات والوقاية منها.

فعند النظر لمعظم التنظيمات الناجحة التي حققت أهدافها وخططها، نجد أنها تمتلك أجهزة أمنية تعمل في صمت؛ فالعمل الأمني ليس حكراً على الدول والحكومات؛ بل تتبناه معظم التنظيمات السياسية المعارضة في العالم من جماعات وأحزاب وقوى ضغط، ووصل الأمر إلى وجود أجهزة أمنية لشخصيات ورموز؛ كبعض رجال المال والأعمال، وكان سبباً لنجاح العديد من الثورات التحررية في العالم، مثل ثورة التحرير الجزائرية، والثورة الكوبية، والثورة الإيرانية.

لذلك سأتطرق في هذه السلسلة إلى العلوم والاستراتيجية الأمنية، والوعي والثقافة الأمنية، وفي هذا المقال أتناول مفهومه ومرجعيته ومحاوره وأبعاده وأهميته، وسيتبعه مقالات أخرى بإذن الله.

مفهوم وفلسفة الأمن

إن مفهوم الأمن من أصعب المفاهيم التي يتناولها التحليل العلمي، لأنه مفهوم نسبي متغير، وذو أبعاد ومستويات متنوعة، ويتعرض لتحديات وتهديدات مباشرة وغير مباشرة، من مصادر مختلفة تختلف درجاتها وأنواعها وأبعادها.

لغوياً: جاءت معانيه في القرآن الكريم فهو ضد "الخوف" أي الطمأنينة، وبالرجوع للمعاجم يعني السلامة من الخطر، أ م ن : الأَمَانُ والأَمَنَةُ بمعنى فهم وسلم. (مختار الصحاح).

اصطلاحاً: ارتبط بكيفية استعمال القوة، لإدارة الأخطار التي تهدد الأفراد والتنظيمات، للحفاظ على استقرارهم واستقلاليتهم.

وهناك تعريفات أخرى مختلفة منها:

- يعرف باري بوذان الأمن بأنه (العمل علي التحرر من التهديد).

- أما أرنولد ولفرز (Arnold Wolfers) فيُعرف الأمن بغياب التهديدات للقيم والأفكار المكتسبة، وغياب الخوف من الهجوم عليها.

- ويتضح من تعريف والتر ليبمان (Walter Lippman) أن أي جماعة أو تنظيم تبقى في وضع آمن إذا لم تُضحِ بقيمها ومبادئها، وتحفظ أمنها إذا خرجت من معركتها حافظة لقيمها ومبادئها التي تدافع عنها.



ويتضح من التعريفات السابقة رؤي مختلفة حول موضوع الأمن، منها استعمال القوة لإدارة المخاطر التي تواجه التنظيمات، أما في تعريف باري بوذان فيصفه كلُ من بوث (booth) و ويلر (Wheeler) بأن عملية التحرر التي يقصدها لا يمكن للأفراد والجماعات تحقيق استقرارها الأمني، إلا إذا امتنعوا عن حرمان الآخرين منه، وذلك إذا نُظر إليه على أنه عملية تحرر، أما التعريف الآخر للأمن فمرتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرة التنظيمات والأفراد على الحفاظ على قيمهم ومبادئهم، ويتحقق استقرارهم الأمني إذا حافظوا عليه. إذَن فالأمن هو الإجراءات والاحتياطات الوقائية اللازمة لمستويين: دفاعي وهجومي.

المرجعية الفكرية للوعي الأمني

إن القرآن الكريم يحتوي على الكثير من المعاني الأمنية، وجاء بالكثير من أساسيات العمل الأمني ومفاهيمه، وقد أكّدت النصوص القرآنية أنَّ للعمل الأمني أصلاً شرعياً من الأصول الإسلامية التي ينبغي للمسلم أن يأخذ بها، ويستفيد منها، وينفّذها.

وهناك الكثير من الآيات التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني الأمنية، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

(.. هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون: من الآية ٤)

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:٨٣).

إن مفهوم الأمن يشمل كل ما يحقق الاستقلال وضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي ببُعدَيه الداخلي والخارجي، أي تأمين الكيان أو التنظيم من الأخطار التي تهدده داخلياً وخارجياً؛ لتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الغايات والأهداف، ويرتكز على ثلاثة محاور رئيسية:

١. تأمين الكيان أو التنظيم داخلياً وخارجياً.
٢. تحقيق الاستقلال والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي.
٣. تحقيق الرضا لدى أفراد التنظيم.

منهجية وأبعاد العمل الأمني

يقول روبرت مكنمارا (Robert Mcnamara) في كتابه (جوهر الأمن): "إن الأمن لا يعني تراكم السلاح، بالرغم من أن ذلك جزءاً منه، وليس القوة العسكرية بالرغم من أنه قد يشتمل عليها، وليس النشاط العسكري التقليدي بالرغم من أنه قد يحتوي عليه، إنما الأمن هو التنمية، فبدونها لا يمكن تحقيق الأمن".

وبالتالي يتضح لنا بأن الأمن له العديد من الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التنمية وليس المفهوم العسكري فقط؛

فإذا طبقنا مفهوم الأمن على التنظيمات والحركات فإنه يعني قدرتها على الحفاظ على هويتها واستقلالية قرارها وتكاملها، وتوفير الوسائل اللازمة للتصدي للمخاطر التي تواجهها وتواجه أفرادها.

ويتضح من ذلك أن هناك العديد من الأبعاد المفاهيمية للعمل الأمني، وهي:

- البعد الفكري والثقافي.
- البعد الاقتصادي.
- البعد السياسي.
- البعد العسكري.
- البعد المعلوماتي والاستخباري.
- البعد الجماهيري والإعلامي.



في العصر الحالي حدثت تغيرات كثيرة في مفهوم الأمن والمشهد الأمني بسبب تغير مفهوم القوة، والتي لم تعد في الأساس ترتبط ارتباطاً أساسياً بالعمل العسكري؛ لكن تعدته إلى التنمية الشاملة في المجالات التكنولوجية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمعلوماتية.

فانقسم العمل الأمني إلى قسمين:

- العمل الأمني الخشن.
- العمل الأمني الناعم.

فالعمل الأمني الخشن يرتبط بالعمل العسكري وهي القوة التي كان يبنى عليها مفهوم الأمن منذ القِدم أما في العصر الحديث، فقد ظهر قسم آخر من العمل الأمني، وهو العمل الأمني الناعم، الذي يعتمد على القوة التحويلية، ويتميز بأنه أقل قهرية.

أهمية العمل الأمني للتنظيمات الثورية وحركات التحرر الوطني

تعي أنظمة الحكم القمعية مفهوم الأمن وأهميته للتحكم في الشعوب ومصائرهم، وقد أدى هذا إلى الاهتمام الكبير بالأمن وتخصيص الميزانيات والإمكانيات البشرية والمادية الضخمة له، والتي توفَّر لرجال الأمن بصورة خاصة؛ فأقيمت لهم أكاديميات تقوم بتدريسهم العلوم الأمنية وتفريغهم تماماً من أي مشاغل تجذب عقولهم لغير هذا المجال؛ كي يحققوا فيه أقصي درجات الابداع.

فوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذي تُعد من أقوى الأجهزة الأمنية، لو نظرنا إلى المخصصات المتاحة له لعلمنا مدي أهمية العمل الأمني؛ فيقع مركزها الرئيسي في (ولاية فرجينيا) في ضاحية (لانجلي)، وهو مركز محصن تحصيناً طبيعياً بنهر (يوتاماك)؛ إذ تبلغ مساحته ١٢٥ ألف متر، وبلغت تكاليف إنشائه عام ١٩٦٦ م ٤٦ مليون دولار، ويحيط به سور يبلغ ارتفاعة ٤ أمتار، تعلوه أسلاك شائكة، بالإضافة إلى آلاف الأبنية التي تمتلكها الوكالة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها. وتضم أجهزته العديد من الاختصاصيين من العسكريين والأكاديميين والفيزيائيين والكيميائيين وعلماء القانون وعلماء النفس والاجتماع وعلماء ذرة وخبراء لغات، ويمتلك العديد من أجهزة التجسس منها على سبيل المثال طائرات التجسس والسفن البحرية وغيرها.

فالأمن له أهمية لإفشال المؤامرات التي تحاك ضد التنظيم، لمنع الاختراق المباشر وغير المباشر للتنظيمات، والتعرف على الجواسيس، وحفظ أمن الأفراد والمعلومات والخطط. ولعل عملية اغتيال الصحفي جمال خاشقجي أكبر دليل على ضرورة الاهتمام بهذا المجال.

المصادر

(١) محمد عمارة - الإسلام والأمن الاجتماعي - القاهرة دار الشروق ١٩٩٨ .
(٢) معجم مختار الصحاح .
(٣) سليمان عبدالله الحربي ، مفهوم الأمن: مستوياته وصيغة وتهديداته: دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٩ عام ٢٠٠٨ م.
(٤) أنور ماجد عشقي - الاستراتيجية الأمنية العربية لمواجهة العولمة - مركز الدراسات البحوث ٢٠٠٦ م.
(٥) جون بليس - الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة- مركز الخليج للأبحاث. الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٤ م.
(٦) كتاب جوهر الأمن، مكتبة الإسكندرية الإلكترونية.
(٧) كتاب (الاختيار: السيطرة علي العالم أم قيادة العالم).
(٨) أفاق الأمن الإسرائيلي الواقع والمستقبل / خالد وليد محمود / مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات / بيروت.
(٩) http://www.politics-dz.com/community/threads/mfxum-al-mn-almusy.3851/
(١٠) الأمن الثقافي: مفهومة ودواعيه وعوامل تحقيقه، م. نهلة محمد أحمد جبر/ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية/ القاهرة .
(١١) موقع وكالة المخابرات الأمريكية CIA



المتمردون ودوافعهم

(من دليل الجيش الأمريكي لمكافحة التمرد)

١-٢٤. إن كل تمرد فريد من نوعه وله سماته الخاصة، ورغم ذلك فإن هناك أوجه تشابه غالباً بين التمردات، ففي جميع الحالات يسعى المتمردون إلى فرض تغيير سياسي على الساحة، مع العلم بأن أي عمل عسكري من قبل المتمردين يأتي في المرتبة الثانية كوسيلة تؤدي إلى تحقيق غاياتهم. ومن ثم يمكننا القول بأن عدد قليل من التمردات يمكن إدراجه بدقة في تصنيف صارم للتمردات. ففي الواقع، قد يواجه قادة مكافحة التمرد تحالفاً مثيراً للحيرة بين أنواع مختلفة من الخصوم، بعضها قد يكون على خلاف مع البعض الآخر.

وبدراسة نوع التمرد الذي يواجهونه، يتمكن القادة وهيئات أركانهم من بناء صورة أكثر دقة عن المتمردين والفكر السائد بينهم، ومن ثم فإن هذا الفحص يعمل على تحديد ما يلي:

- السبب الرئيسي أو الجذور الرئيسية للتمرد.
- المدى الذي يتمتع عبره التمرد بدعم داخلي أو خارجي.
- الأساس الذي يستند عليه المتمردون في جذب السكان (يشمل الأيديولوجيا والسردية القصصية).
- دوافع المتمردين وعمق الالتزام لديهم.
- الأسلحة والتكتيكات المحتمل أن يستخدمها المتمردون .
- بيئة العمليات التي يسعى عبرها المتمردون إلى استهلال وتطوير حملتهم واستراتيجيتهم.

مقاربات المتمردين

١-٢٥ . يتعين على قوات مكافحة التمرد تحديد كل من دوافع أعدائها، ومقاربتهم المستخدمة لتطوير تمردهم. فهذه المعلومات ضرورية للغاية من أجل تطوير برامج فعالة تقضي على الأسباب الرئيسية للتمرد. وبتحليل مقاربات المتمردين يمكن تحديد الخيارات العسكرية المتاحة لمكافحة التمرد. وتشمل مقاربات المتمردين التالي دون أن تقتصر عليه:

- التآمر.
- التركيز على الشق العسكري.
- التركيز على المناطق الحضرية.
- الحرب الشعبية الممتدة.
- التركيز على الهوية.
- مقاربات مركبة وتحالفات.

التآمر

١-٢٦. إن النهج التأمري يضم عدداً قليلاً من القادة، وكادراً عسكرياً أو حزباً ناشطاً يهدف للاستيلاء على الهياكل الحكومية أو استغلال الموقف الثوري. ففي عام ١٩١٧ استخدم لينين هذا النهج لتنفيذ الثورة البلشفية. وفي هذا النهج يعمل المتمردون في جو من السرية لأطول فترة ممكنة، ويظهرون فقط عندما يمكنهم تحقيق النجاح بشكل سريع.

وعادة ما يشمل هذا النهج بناء حزب أو قوة "طليعية" صغيرة وسرية. والمتمردون الذين يستخدمون هذا النهج بنجاح قد يضطرون إلى بناء قوى أمنية والتماس الدعم الجماهيري للحفاظ على قوتهم مثلما فعل البلاشفة.

التركيز على الشق العسكري

١-٢٧. يهدف من يتبنون هذا النهج إلى بناء قدرات ثورية أو الاستيلاء على السلطة عبر استخدام القوة العسكرية. فعلى سبيل المثال (مقاربة البؤر الثورية)[١] والتي اشتهر بها قادة أمثال جيفارا، تؤكد على أن التمرد في حد ذاته يمكنه أن يخلق الظروف المطلوبة للإطاحة بأي حكومة.

ويؤمن أنصار هذا التوجه بأن أي جماعة صغيرة تشن حرب عصابات، وتعمل في ظل بيئة ريفية، مع وجود استياء عام، يمكنها في نهاية الأمر حشد الدعم الكافي لتحقيق غاياتها. وعلى النقيض تماماً، فإن بعض حركات التمرد الانفصالية قد اعتمدت على قوات تقليدية ضخمة لمحاولة تأمين استقلالها.

كما أن حركات التمرد التي ركزت على الشق العسكري مثل بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة أو المتمردين في أفريقيا أو أمريكا اللاتينية، افتقرت إلى هيكل سياسي أو لم يكن لديها سوى هيكل سياسي ضعيف، ومع ذلك بسطوا نفوذهم عبر استخدام القوات المقاتلة بدلاً من التآمر السياسي.

(١) مقاربة البؤر الثورية تعرف بنظرية الفوكو focoism ، وتتلخص في قيام مجموعة صغيرة من الثوار بالمبادرة بإقامة قواعد عسكرية في الريف بشكل منفصل عن الفلاحين، ثم تنطلق لشن عمليات عسكرية متصاعدة ضد قوات النظام الحاكم المرتبط بالإمبريالية، لتعمل على كسب دعم الجماهير وصولاً إلى تحقيق النصر النهائي. وقد طبق جيفارا هذه النظرية بكوبا (المترجم).

١-٢٨. إن تنظيمات مثل الجيش الجمهوري الايرلندي، وبعض الجماعات بأمريكا اللاتينية، وبعض الجماعات الإسلامية المتطرفة في العراق، ركزت على العمل بالمناطق الحضرية. ويستخدم هذا النهج التكتيكات الإرهابية في المناطق الحضرية من أجل تحقيق ما يلي:

- نشر الفوضى.
- إشعال العنف الطائفي.
- إضعاف الحكومة.
- تخويف السكان.
- قتل قادة الحكومة والمعارضة.
- الانتقام من وتخويف عناصر الشرطة والقوات العسكرية، والحد من قدرتهم على الاستجابة للهجمات.
- إيجاد قمع حكومي.



١-٢٩. يتطلب تدشين إرهاب حضري واسع النطاق عبر خلايا صغيرة ومستقلة القليل من الدعم أو قد يستغنى عن الدعم الشعبي تماماً. لذا فمن الصعب مواجهة مثل هذا النوع من الإرهاب. والتاريخ يثبت أن الأنشطة من هذا النوع لم تحظَ بنجاح كبير دون دعم ريفي واسع النطاق. ومع ذلك فمع تحضر المجتمعات، وتعقد شبكات التمرد، أصبحت هذه المقاربة أكثر فاعلية. ففي مواجهة قوات أمن داخلية موزعة بصورة مناسبة. تبدأ حركات التمرد الحضري في الانتشار على شكل هيكل خلوي تآمري، يعمل على أن يستقطب بين صفوفه أفراداً من نفس العائلة أو ممن يجمعهم انتماء ديني أو حزب سياسي أو مجموعة اجتماعية واحدة.

مصير الضباط في عهد السيسي

إما منسي أو عشماوي

محمود جمال



أصبح ضابط الصاعقة **"رائد بالمعاش" هشام علي عشماوي مسعد**، حديث الساعة في الفضائيات والصحف بعد إلقاء القبض علية يوم الإثنين الموافق ٠٨ أكتوبر ٢٠١٨ م ، من قِبل القوات التابعة لخليفة حفتر في مدينة (درنه) الليبية ومعه مرعي زغيبة "مطلوب ليبي" وبهاء على "مصري الجنسية " [1].

---

(1) القبض على هشام عشماوي، أبرز المطلوبين للسلطات المصرية، في ليبيا، بي بي سي تاريخ النشر ٠٨ أكتوبر ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ١٠ أكتوبر ٢٠١٨ م، الرابط.

البعض يري أن عشماوي سلك الطريق الخاطئ الذي يحتم على ضابط جيش متميز مثله عدم الخوض فيه، حتى لو كان يختلف مع سياسات قيادات المؤسسة العسكرية. بينما يرى البعض الأخر أن هشام عشماوي نموذج فريد من نوعه، ضحي بكل الامتيازات التي يتحصل عليها ضباط الجيش المصري، واختار أن يكون في صفوف فئة أخري، لن تعطيه هذه الامتيازات التي كان يتحصل عليها عندما كان ينتمي للجيش المصري، تلك الفئة التي كانت وما زالت ترغب في التغيير الذي كان قريب المنال بعد ثورة ٢٠١١ م، والذي انقلبت عليه القيادة العسكرية ورئيسها السيسي في يوليو ٢٠١٣ م.



وكعادته منذ أن كان وزيراً للدفاع يحرص السيسي على حضور الندوات التثقيفية التي تنظمها الشئون المعنوية لأفراد وضباط الجيش، وعادة ما يرافقه القادة العسكريون قادة العسكر وعدد من الوزراء والإعلامين ورجال الدين. وكانت الندوة ٢٩ والتي انعقدت يوم الخميس الموافق ١١ أكتوبر ٢٠١٨ م بمشاركة وزير الدفاع الحالي الفريق أول محمد ذكي ورئيس الأركان الحالي الفريق محمد فريد حجازي وجميع قادة الأفرع الرئيسية بالقوات المسلحة المصرية، وكان من أبرز الحضور المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع الأسبق ، وسط غياب لوزير الدفاع السابق الفريق أول صدقي صبحي ورئيس الأركان السابق الفريق محمود حجازي.

ألقـى السيســي خـلال الندوة كلمــة ركـــز فيها علــي حرب أكتوبر ١٩٧٣ م، وربـط بين الأجـواء التي شهدتها مصر في وقت حرب أكتوبر والأيـام الحالية التي تشهدها مصر، حتي يوصل الرسالة الهامة التي أراد أن يرسلها خلال كلمته، وهي أن معركة الجيش المصري لم تنتهِ ومـا زالـت مستمرة ولكن بمفردات مختلفة، وحـاول أن يظهر الاخـتـلاف بين حـرب ١٩٧٣ و "معركة الـيـوم" علي حد وصفه.

وبناء على ما جاء على لسان السيسي فإن العدو في حرب أكتوبر كان واضحاً، بينما عدو "الدولة المصرية" الآن غير واضح، متابعاً: "بقي معانا وجوانا واستطاعوا بالفكر إنشاء عدو جوانا بيعيش بأكلنا ويتبنى بهدمنا". وهو يشير هنا للإسلام السياسي والذي يصفه السيسي بأنه فكر متطرف، ويحاول السيسي منذ الانقلاب غرس هذا في عقيدة الجيش المصري بأن الإسلام السياسي هو عدو الدولة المصرية.

لم يغفل السيسي عن إرسال رسالة لقادة المؤسسة العسكرية كعادته في الندوات التثقيفية، ولأن هذه الندوة جاءت بعد اعتقال رئيس أركان القوات المسلحة الأسبق الفريق سامي عنان. حرص السيسي على التأكيد أن المؤسسة العسكرية يجب أن تكون متحدة حتى لا تدخل البلاد في نفق مظلم، وأضاف السيسي كما جاء على لسانه "الكتلة الصلبة داخل الجيش يجب أن تكون متماسكة ومتفهمه جيداً للتحديات التي تواجه مصر".


الفريق سامي عنان

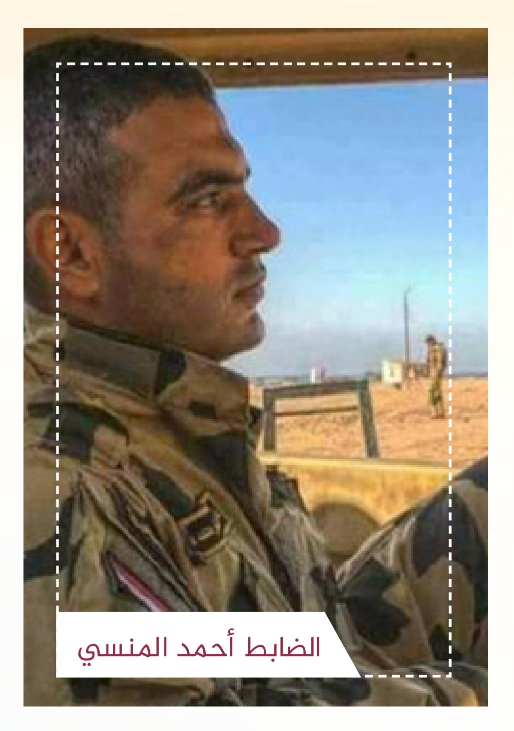
السيسي وهشام عشماوي

قبل انتهاء كلمته أشار السيسي إلى الحدث المهم الذي وقع قبل ٧٢ ساعة من بدء وقائع الندوة، وهو القبض على ضابط الصاعقة هشام عشماوي؛ إذ أكد السيسي كما جاء على لسانه: "هناك فارق كبير بين هشام عشماوي والبطل أحمد المنسي"، وأضاف: "ده إنسان وده إنسان، وده ضابط وده ضابط، والاثنين كانوا في وحدة واحدة، الفرق بينهم إن حد منهم اتلخبط وممكن يكون خان، والتاني استمر على العهد والفهم الحقيقي لمقتضيات الحفاظ على الدولة المصرية وأهل مصر بنصقفلوا، والتاني عاوزينه علشان نحاسبه".

وهنا يجب أن نشير الي عدة نقاط:

(١) هشام على عشماوي مسعد مواليد عام ١٩٧٩ ، تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٩٤ م، وهو من سكان الحي العاشر بمدينة نصر، تدرج "عشماوي" في الخدمة العسكرية إلى أن وصل إلى رتبة رائد بسلاح الصاعقة، وكان "عشماوي" ضابطا مميزاً وخصل علي فرقة السيل في الولايات المتحدة الأمريكية، وخدم في سيناء لعدة سنوات وكان خبير بالدروب والمسالك الصحراوية، وقيل إنه عام ٢٠٠٦ م، ظهر عليه بعض الأفكار والميول الدينية، وتم التحقيق معه من قِبل جهاز المخابرات الحربية أكثر من مرة، وخرج "عشماي" على المعاش عام ٢٠١٢ برتبة رائد على خلفية أسباب طبية أشيع وقتها داخل الجيش المصري أنها أسباب نفسية طرأت على "عشماي" بعد وفاة والده، لا كما تتداول الكثير من الصحف أنه خرج مفصولاً من الخدمة. ولهذا السبب أصبح "عشماوي" يمتلك كارنيه القوات المسلحة، وللعلم لو كان فُصل "عشماوي" من الخدمة لسُلب كل حقوقه وامتيازاته العسكرية والتي منها حق حملة الكارنيه العسكري.

(٢) بعد خروج هشام من الخدمة بدأ مباشرة رحلته في عالم الجماعات الجهادية ضمن صفوف جماعة أنصار بيت المقدس، وكان قد سبقه زميلاه: النقيب بسلاح الصاعقة عماد عبدالحميد والذي أحيل للعمل المدني بقرار جمهوري لدواعي أمنية إثر اعتناقه للفكر الجهادي، والرائد بهيئة التنظيم والإدارة وليد بدر وهو من مركز قويسنا بمحافظة المنوفية، وفصل من الخدمة العسكرية عام ٢٠٠٥ لميوله الدينية، وشارك بالقتال في أفغانستان والشام. وبتاريخ ٢٠١٥/٧/٢١ أعلن "عشماوي" عن نفسه كأمير لجماعة "المرابطين"، تتبع فكر القاعدة.


الضابط أحمد المنسي

(٣) يعلم السيسي أن عشماوي كان ضابطاً متميزاً وكان "قدوة" داخل سلاح الصاعقة وكان زميلاً لأحمد منسي ضابط الصاعقة الذي قُتِلَ علي يد تنظيم ولاية سيناء؛ لذلك لم يتحدث عنه بأي كلام ذميم، بل وصفة بالضابط، ولكنه أراد أن يقول للضباط بأنه نموذج غير حميد وأن من سيسير على نهجه ستكون تلك نهايته؛ لذلك حرص على تشبيهه "بالخائن" وأنه سيحاكم وسيعاقب، أما منسي فهو نموذج الضابط البطل الذي يجب على الضباط أن يسيروا على نهجه، ويضحوا بأنفسهم مثل ما فعل للحفاظ علي الدولة المصرية.

(٤) لكن الرسالة الحقيقية التي لم ينتبه السيسي إلى وصولها، هي أن سياساته قد أدت لما تشهده الساحة المصرية الآن، من مواجهات واشتباكات خاصة في محافظة شمال سيناء، ويقع على أثر تلك الاشتباكات العديد من القتلى من المسلحين ومن ضباط الجيش أيضاً. وهذه السياسات هي السبب في لجوء العديد من العسكريين والمدنيين إلي مواجهة النظام عن طريق حمل السلاح. وذلك بسبب غلق كل الطرق الدستورية والقانونية، أمام من يطالبون بالتغيير من داخل وخارج القوات المسلحة، ومثال على ذلك ما فعل برئيس الأركان الأسبق الفريق سامي عنان، وقائد قوات الدفاع الجوي الأسبق الفريق أحمد شفيق، والعقيد أحمد قنصوه. ونتيجة لذلك أصبح هناك ضباط لا يرون إلا مسار حمل السلاح، لتصحيح مسار المؤسسة العسكرية.

" فالمحصلة النهائية لتلك السياسات الخاطئة التي يتبعها السيسي، بأن مَن سيكون بين صفوف قواته سيُقْتَل كما قُتِل الضابط أحمد منسي، والضابط خالد مغربي، والضابط رامي حسنين، والضابط عادل رجائي، والمئات غيرهم علي يد الجماعات المسلحة التي ازدادت من نشاطاتها بسبب قمع السيسي للحريات وقتل الأبرياء. "

---

(٢) أكتوبر تواصل الأجيال". تفاصيل الندوة التثقيفية الـ ٢٩ بحضور السيسي، اليوم السابع، تاريخ النشر ١١ أكتوبر ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ٢١ نوفمبر ٢٠١٨ م، الرابط

وأن من سيخرج على السيسي سيكون نهايته القتل أيضاً أو الاعتقال كالضابط عماد عبد الحميد، والضابط هشام عشماوي، علي يد قـوات النظام التي هي بالطبع في حالة عسكرية أفضل من الجماعات المسلحة التي تمارس العمل المسلح داخل مصر، ولكن في نهاية الأمر فإن استمرار نظام عبدالفتاح السيسي هو بوابة النزيف الدائم والخسائر المستمرة في صفوف الضباط المتميزة داخل الجيش المصري، سواء المؤيدين لسياسات السيسي والذي قتل منهم المئات منذ يوليو ٢٠١٣ ، أو المعارضين الذي قتل منهم بعض الأفـراد واعتقل البعض الآخر.

إن المؤسسة العسكرية مثلها مثل كل المؤسسات والهيئات، يوجد بداخلها أشخاص تختلف طبائعهم ونفوسهم ومبادؤهم وأيدولوجياتهم، وخلال العقود السبع الماضية كانت توجد أصوات داخل المؤسسة العسكرية تحاول أن تصحح المسار الذي تحيد عنه المؤسسة العسكرية في بعض الفترات بسبب سياسة مَن يتولى قيادة الدولة وقتها.

ولعل الفريق سعد الدين الشاذلي والفريق الجمسي واللواء أبو غزالة والمشير أحمد بدوي، كانوا مثالاً على ذلك. وأثناء اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م، شارك بعض الضباط في الثورة كوسيلة من وسائل التغيير السلمي، والذي أصبح متاحاً وقت الثورة، ذلك التغيير الذي يريدونه داخل الجيش المصري وعلى مستوى الدولة المصرية ككل.

ولكن بعد قيام السيسي بالانقلاب على الثورة المصرية ومبادئها في ٠٣ يوليو ٢٠١٣م، وقيامه بالتنكيل بكل من ينتهج سياسة معارضة له ولنظامه من داخل المؤسسة العسكرية ومن المعارضين السياسيين، وأغلق كل السبل والطرق لإحداث تغيير بشكل سلمي "دستوري وقانوني"، فإن ذلك سيرغم المطالبين والمحاولين للتغير داخل المؤسسة العسكرية إلى اللجوء الي أساليب أكثر خشونة لتحقيق التغيير المطلوب الذي يريدونه.

> **لذلك لم ولن يكون هشام عشماوي الأخير، خاصة بعد أن أعلن رأس هذا النظام أنه على من يرغب في التغيير فعليه أن يتخلص منه أولاً.**



كيف تبني تنظيماً ثورياً (٥) المعلومات

د. عمرو عادل

يقصد بالمعلومات هو العمل الذي يتعلق بإدارة كل البيانات المتعلقة بالتنظيم أو العدو أو الجماهير أو الأرض، ثم تحليلها وتحويلها لمعلومات وربما نحتاج لتفصيل كل منها:

أولاً: معلومات تتعلق بالتنظيم

١ كل ما يتعلق بتداول المعلومات التي من المفترض أن تتحرك داخل التنظيم سواء عن العمليات، أو عن العناصر الأمنية والعملياتية لتوصيلها للمخولين بهذه الأمور.

٢ الجانب الإعلامي الخاص برفع الروح المعنوية للتنظيم ونشر أخباره.

ثانياً: معلومات تتعلق بالعدو

١ كل ما يتعلق بالعدو، عن وحداته وتنظيماته وخططه وتحركاته وأفراده وطرق الإمداد والمخازن وخطط الطوارئ ووحدات الدعم.

٢ الجانب الإعلامي فيما يتعلق بالحرب النفسية لتدمير معنويات العدو وتفكيكه.

ثالثاً: معلومات تتعلق بالجماهير

١ شبكات الدعم الجماهيري للعدو وخططه في حالة الانتفاضة الشعبية، أو العملاء المخولين بمراقبة التحركات الخاصة بالتنظيم الثوري، أو الجماهير بشكل عام.

٢ ربط أفراد متعاونين من الجماهير تمد التنظيم بالمعلومات، والاستفادة من القدرات الهائلة للجماهير على الإمداد بالمعلومات في كافة المجالات.

رابعاً: معلومات تتعلق بالأرض التي يعمل عليها التنظيم

١ المؤسسات المنتمية للنظام التي يجب السيطرة عليها، وكل ما يمكن جمعه عنها من معلومات.

٢ الطرق والمداخل والمخارج والمناطق الآمنة والطبوغرافيا الخاصة بهذه المنطقة، وتوزيع السكان (بمعنى أدق المعلومات وجمع المعلومات وكأنك تحكم المكان).

تحتاج كل هذه الأمور لعدة خلايا تقوم بهذه الوظائف، وهناك بعض الخصائص لأي خلايا تتعلق بالمعلومات.

- تكون صغيرة العدد إلى الحد الأدنى الممكن طبقاً للمهمة.
- لا تتواصل إلا وجهاً لوجه.
- ترتبط مباشرة بالرأس التنظيمي الأعلى لكل مستوى من المستويين الرئيسيين (القيادة العليا - القيادة الميدانية) .
- تكون محددة المهمة ومتخصصة في أحد المجالات.

وطبقاً للوظائف المقررة للجناح المعلوماتي، ربما يمكن استعراض الخلايا الواجب وجودها داخل الجناح لكل مستوى من المستويين التنظيميين:

١ خلية اختراقات العدو وتجنيد أعضاء من داخله.

٢ خلية تأمين تدفق المعلومات داخل التنظيم.

٣ خلية الحماية من الاختراقات ومتابعة المشكوك بانتمائهم.

٤ خلية صندوق البريد (التواصل مع الجماهير المؤيدة).

٥ خلية الاختراقات الإليكترونية (الهاكنج).

٦ خلية الحرب النفسية لتدمير العدو نفسياً.

٧ خلية رفع المعلومات الطبوغرافية والديموغرافية للأرض.

٨ خلية رصد العملاء من الجماهير الموالين للعدو .

٩ خلية إعلامية.

١٠ خلية تحليل البيانات.

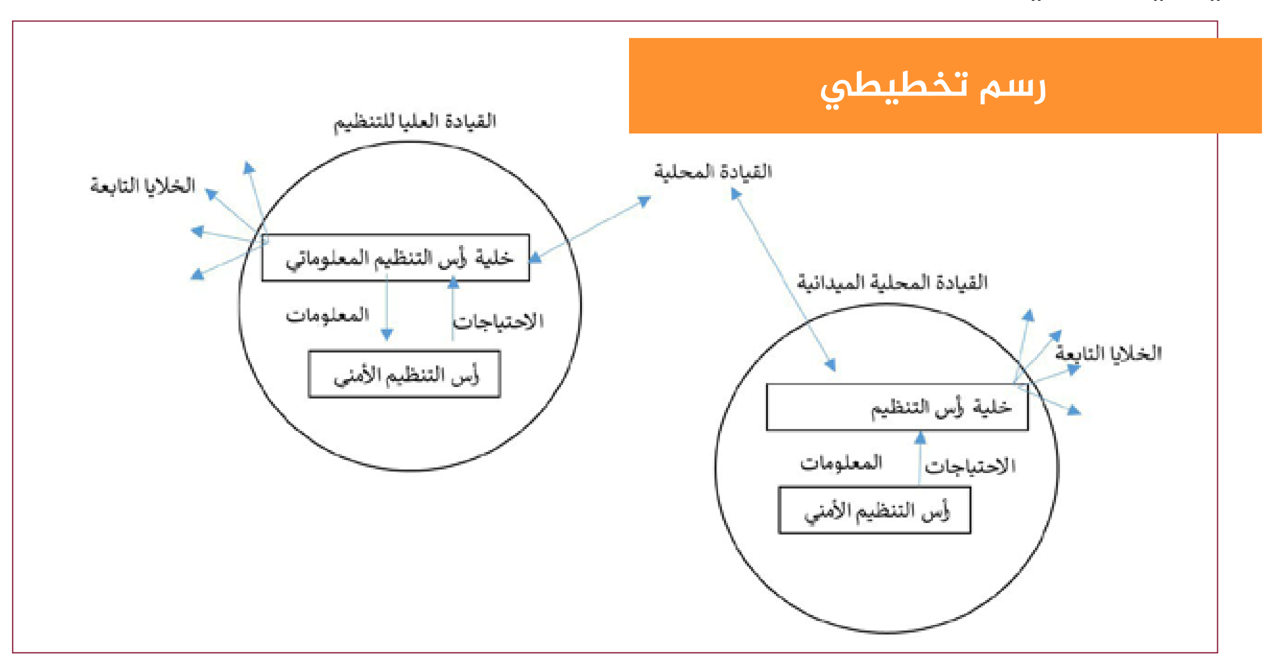
١١ خلية دراسة العدو.

وكما ذكرنا يجب أن يكون عدد أعضاء الخلية بالحد الأدنى الممكن الذي يحقق الهدف والكثير منها يمكن أن تكون فرداً واحداً أو اثنين.



قواعد عامة

- ترتبط هذه الخلايا واحدة واحدة رأساً بالقيادة، سواء القيادة العليا للتنظيم أو بالقيادة الميدانية المحلية



- كل خلية لها خلية بديلة تحل محلها في حالة سقوطها بكود اتصال خاص مع خلية رأس التنظيم التابعة.
- لا علاقة بالتنظيم المعلوماتي بكل التنظيم سوى طريق واحد وهو رأس التنظيم الأمني كما هو موضح بالشكل.
- الحرص الشديد في هذا المستوى من الاختراق حيث تكون نتائجه كارثية (راجع المقالات السابقة والخط غير المسموح باختراقه)، لذلك يجب أن يكون معيار الثقة المطلقة هو الأهم في هذا المستوى دون إهمال الكفاءة.

- التحديد الصارم للمهام وعدم التجاوز لما لا ينبغي معرفته من أي عنصر.
- عدم التعامل أو المزج نهائياً بين التنظيم المعلوماتي وأي فرد من التنظيم الأمني أو العملياتي، وعدم ازدواج الوظائف حتى في حالة نقص الكوادر، السرعة البطيئة في البناء المتماسك أفضل من ترك مساحات فارغة ورائك سيملأها غيرك.
- التغيير من الخلية الرئيسية للبديلة لأي سبب هو أخطر مراحل العمل وأكثر اللحظات عرضة للاختراق، لذا يجب الحرص الشديد والدقة الشديدة في تلك اللحظة وتأمينها بأكبر قدر ممكن.

نبذة حول مهام الخلايا

١ خلية اختراقات العدو وتجنيد أعضاء من داخله (المستوى الثاني فقط):

تعتبر المعلومات من داخل العدو واحدة من الأمور المفصلية لنجاح أي تنظيم في عملياته (معرفة العدو نصف النصر) ولذلك يفضل أن تكون عدة خلايا يتكون كل منها من فرد واحد (لعدم سقوط الخلية الكبيرة العدد إذا حدث خطأ ما)، وله من المهارات النفسية والذهنية التي تمكنه من التعرف على العناصر الموجودة داخل العدو؛ والتي يمكنها التعاون سواء بدافع أيديولوجي أو دوافع الرغبة في الانتقام من النظام لأي سبب سواء كان طبقياً أم التعرض لظلم مباشر، وتمتلئ مؤسسات الدولة بهؤلاء، كما يكون عنده حس أمني عال لعدم الوقوع في خطأ تجنيد عنصر منتمي للنظام ومدفوع لاختراق التنظيم، ويمكن (طبقاً للظروف) أن يكون عنصر كل خلية مرتبط بمؤسسة بعينها أو جزء منها لتجنيد أعضاء منها. والمؤسسات الأهم والأخطر هي مؤسسات القوة العسكرية والمالية للعدو.

٢ خلية تأمين تدفق المعلومات داخل التنظيم:

المسئول عن نقل المعلومات هم ضباط اتصال الجناح الأمني، إلا أن ضوابط نقل المعلومات وتحديد الأماكن الآمنة للمقابلات في المستويين التنظيميين، هي مهمة هذه الخلية في المستويين التنظميين، بينما تختص هذه الوحدة في المستوى الأول بتأمين لقاءات القيادات، وفي المستوى الثاني تقوم وحدة تأمين التنظيم المحلية بتأمين اللقاءات المباشرة بين ضباط الاتصال (راجع المقالات السابقة). وتحتاج هذه الخلية لحد أدنى من الخبرات في هذا المجال سواء لهم خبرات سابقة في ذلك أو يتم تدريبهم وتثقيفهم في هذا المجال.

٣ خلية الحماية من الاختراقات ومتابعة المشكوك بانتمائهم:

طبقاً لمعلومات من الجناح الأمني؛ تقوم هذه الخلية بمتابعة بعض المنتمين الجدد للتنظيم للتأكد من ولائهم وأنهم ليسوا جزءاً من محاولة اختراق، وهناك أساليب للتتبع وفخاخ لكشف أي محاولة اختراق بالتأكيد يعلمها العدو ويدركها من يحاول الاختراق ويتعامل معها، لذلك تحتاج هذه الخلية لمهارات بالتنسيق مع رأس الجناح الأمني لكشف هذه المحاولات.



٤ خلية صندوق البريد (التواصل مع الجماهير المؤيدة): (المستوى الثاني فقط)

واحدة من المفاصل المهمة لأي تنظيم وتتكون كل خلية من شخص واحد ، إذ تُعد الجماهير المؤيدة التي تقبل العمل في هذا المجال كثيرة نسبياً، فمطلوب منه فقط إمداد التنظيم بالمعلومات في أمر محدد ولا يثير أي شبهه، فمثلاً العامل في محطة مياه أو كهرباء يعلم بطبيعة عمله كل التفاصيل الخاصة بالمكان ولا توجد أي شبهة في وجوده بالمكان، وكذلك العاملون في وحدات المرور والمترددون على أقسام الشرطة، لذلك فكل هؤلاء - مع التأكيد على الولاء منهم للفكرة - عناصر محتملة للتعاون.

وصندوق البريد البشري هو خلية تتحرك بين عدد ما من الأفراد - يفضل أن يكون صغيراً ونزيد عدد خلايا صندوق البريد في حالة الرغبة في زيادة عدد المتعاونين- ويجمع المعلومات ويوصل لهم ما ينبغي جمعه من معلومات يطلبها التنظيم. ومن الضروري أن تكون اللقاءات مع المتعاونين ليست مصطنعة وتكون طبيعية بأكبر قدر ممكن.

٥ خلية الاختراقات الإليكترونية (الهاكنج):

وتكون كل خلية من فرد واحد ماهر في حماية نفسه من التتبع الإليكتروني وماهر في الهاكنج، ويعتبر هاكر واحد محترف بمثابة قوة ضاربة هائلة للتنظيم والاستثمار في صناعة الهاكر مهما كانت تكلفته واحد من أفضل مجالات الاستثمار في العمل الثوري. ومجالات الاختراق واسعة وليست بالضرورة معلنة، فمعرفة أي معلومة تساعد بالتأكيد في العمل الميداني والأمني، كما أن الاختراقات للنظام وإعلان بعضها -طبقاً لرؤية القيادة - واحدة من أدوات تدمير العدو النفسي ورفع الروح المعنوية للثوار والمؤيدين لهم. ومن أهم مجالات الهاكنج هي المعلومات الأمنية والعسكرية واختراق الميديا بعرض منتجات ثورية على قنواتهم واختراق النظم البنكية كواحدة من مصادر التمويل للتنظيم.

٦ خلية الحرب النفسية لتدمير العدو نفسياً:

يناضل كلا الطرفين لتحطيم التوازن النفسي للآخر، وعلى التنظيم الثوري إدراك أن العدو بالأساس يعاني من خوف دائم لأنه في الغالب لا يدافع عن قضية صلبة، ولذلك يجب أن تعمل تلك الخلايا على تحطيم اتزانه النفسي وتدمير قدرته على المقاومة وصناعة توازن الرعب الذي لو حدث سيكون حتماً في صالح الثورة، خاصة إذا كانت تمتلك قدراً من قوة الردع.

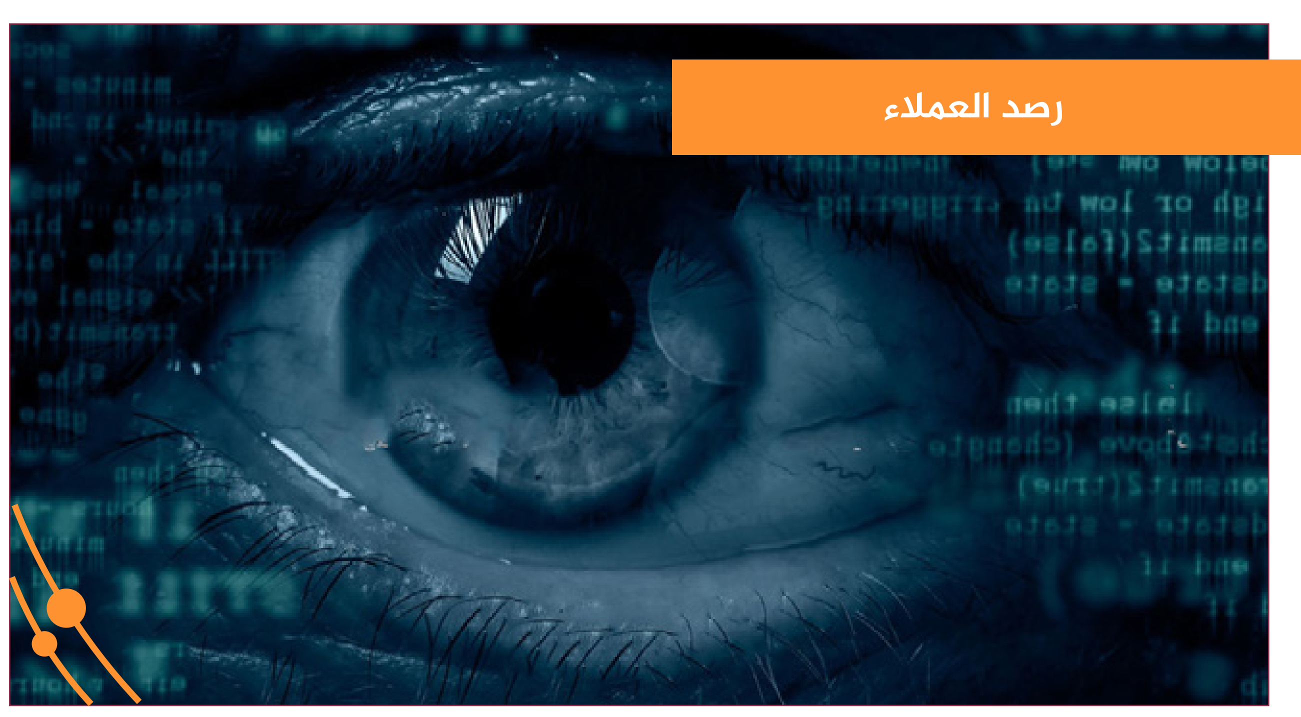
وينبغي أن تختلف الرسائل الموجهة لقلب الثورة المضادة عن الرسائل الموجهة للجماهير المعارضة للثورة وهذا مجال آخر للحديث.

٧ خلية رفع المعلومات الطبوغرافية والديموغرافية للأرض: (المستوى الثاني فقط)

من المهام الرئيسية للتنظيم الثوري هو السيطرة على الأرض وعدم تمكين النظام والثورة المضادة من إعادة السيطرة عليها أثناء العمليات الثورية الشاملة، ولذلك المعرفة التامة بالأرض بكل تفاصيلها، الشوارع وكثافتها المرورية والنقاط المفصلية وتوزيع السكان ومناطق النقاط الأمنية وتحركاتها والأنفاق والمخابئ والأراضي الخربة ونقاط تجمع القوى الموالية للثورة المضادة وأماكن المؤسسات السلطوية والخدمية وكيفية السيطرة عليها، ببساطة كل المعلومات المتعلقة بالمساحة الجغرافية محل العمل وكأنك تحكم تلك المساحة، وهذه البيانات يتم تجميعها وتقوم خلية تحليل البيانات بتصنيفها وبناء المعلومات الواجب توصيلها للخلايا العملياتية.

٨ خلية رصد العملاء من الجماهير الموالين للعدو: (المستوى الثاني فقط)

كل ثورة مضادة تمتلك جناحاً جماهيرياً منظماً مرتبطاً بتنظيمات الدولة ارتباطاً وثيقاً، وهذا الجناح له دور هام في المنازعة على السيطرة الميدانية في حالة سقوط النظام الرسمي أو اهتزازه وعدم قدرته على السيطرة، وفي هذه اللحظات يدفع بالجناح الجماهيري للمنازعة في السيطرة مع الثورة على الأرض، ولذلك معرفة هذا التنظيم وعلاقاته ونقاط تجمعه وخططه ومفاصله في غاية الأهمية للتعامل معه في لحظات المد الثوري الشامل على الأرض، وهذه المعلومات في غاية الأهمية والخطورة، كما أن هناك أمراً آخر خطير وهو وجود عناصر داخل هذا الجناح الجماهيري الموالي للثورة المضادة يتجسس على الجماهير، ويحاول كشف أي عمل تنظيمي ثوري، ولذلك معرفتهم عن طريق الجناح المعلوماتي ثم عزلهم تماماً عن طريق مجموعات العمليات واحدة من الأمور الهامة للتنظيم.



الخلايا الثلاث القادمة خاصة بالمستوى القيادي الأول:

٩ خلية إعلامية:

ومهمتها نشر ما يتعلق بالنشاط الخاص بالتنظيم مما تطلبه القيادة أو أي أمر تقرره القيادة، كما أنها تحدد الإجراءات اللازمة، وربما طلب القيام ببعض العمليات التي سيكون لها صدى إعلامي عال لرفع الروح المعنوية للتنظيم والثوار، كما أنها تقاوم الحرب النفسية التي يقوم بها العدو وتحمي التنظيم منه. وتتبع هذه الخلية القيادة العليا حتى يمكن حمايتها وانتقاء عناصر شديدة المهارة حتى لا يمكن تعقبها وكشفها.

١٠ خلية تحليل المعلومات:

وهي مرتبطة بالقيادة لتحليل كافة المعلومات المتاحة وإعطاء القيادة العليا تصورات ومسارات مقترحة للعمل، وهي على درجة عالية من الكفاءة المهنية والإحصائية، والاستثمار بهذه الخلية استثماراً مربحاً دائماً.

١١ خلية دراسة العدو:

ومهمتها الإمداد بالبيانات والمعلومات المتعلقة بطبيعة تنظيم العدو وبنائه، وطرق عمله واحتمالات تحركه ومدى تماسكه ونقاط ضعفه من منظور استراتيجي، وهذه الخلية أشبه بوحدة أبحاث للتنظيم.



بالتأكيد هذا يحتاج لجهد ضخم وإمكانات مادية وبشرية، إلا أن عدّ مثل هذا التنظيم هو الهدف النهائي أحد الأمور الرئيسية أثناء أبناء.

وفي المقال القادم نستعرض بعض الأمور الفنية الخاصة بالاتصالات والتأمين للعناصر المعلوماتية، وخاصة المرتبطة بالجماهير.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





معضلة الجهاد

وحفظ أرواح العباد

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

لم أَتَلَقَّ كلمات ذلك المأفون المفتون إلا ببالغ الاشمئزاز، ولم تورثني تُرَّهاته سوى مزيداً من الازدراء له ولأمثاله ممن لا نشك في عمالتهم ونذالتهم، غير أنّ الشبهة التي أثارها لفتت انتباهي لكونها ترددت على ألسنة أطراف عديدة تنتمي إلى مجالات شتى، وهي شبهة ضعيفة ومنقوضة من أعلاها إلى أسفلها، ولا تستحق الرد ولا حتى مجرد الالتفات، غير أنَّها أثيرت في زمان ضعف فيه الفهم وقل فيه العلم وتهافت فيه الخلق على الأقوال الداعية إلى التخاذل والتكاسل؛ لذلك وجب التناول وتحتم الردّ، ولسنا بهذا نعطي أي وزن لأمثال ذلك المدعو سعيد رسلان أو غيره، فقد نزل قرآن يتلى في الرد على شبهات أثارها أمثال أبي جهل وابن خلف، ومع ذلك لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها واحدا منهما شربة ماء.

لماذا تُصِرُّ حماس في اندفاع غير مبرر على مغايظة الأسد والعبث عند أنفه؟! ألم تعلم أنَّها إنَّما تواجه دولة منظمة ذات مؤسسات شامخة وقواعد راسخة؟! ماذا تصنع المقاومة بألعاب الأطفال هذه التي لا تقوى بها على مواجه جيش إسرائيل إلا إذا قوي على مواجهة الأسد نعامةٌ لا تملك من المميزات إلا طول ساقيها وامتداد عنقها؟! وهل يجوز لها هذا العبث باسم الجهاد إذا كان يتسبب في قتل الآلاف من الأبرياء المدنيين؟! أين حرمة الدماء؟! وأين من هذا الحمق والطيش صوت العلماء؟! هذا ما يتقيأونه تصريحاً وتلويحا، وهذا ما تنطبق به وجوههم وجباههم قبل أن تلفظه ألسنتهم وشفاههم.

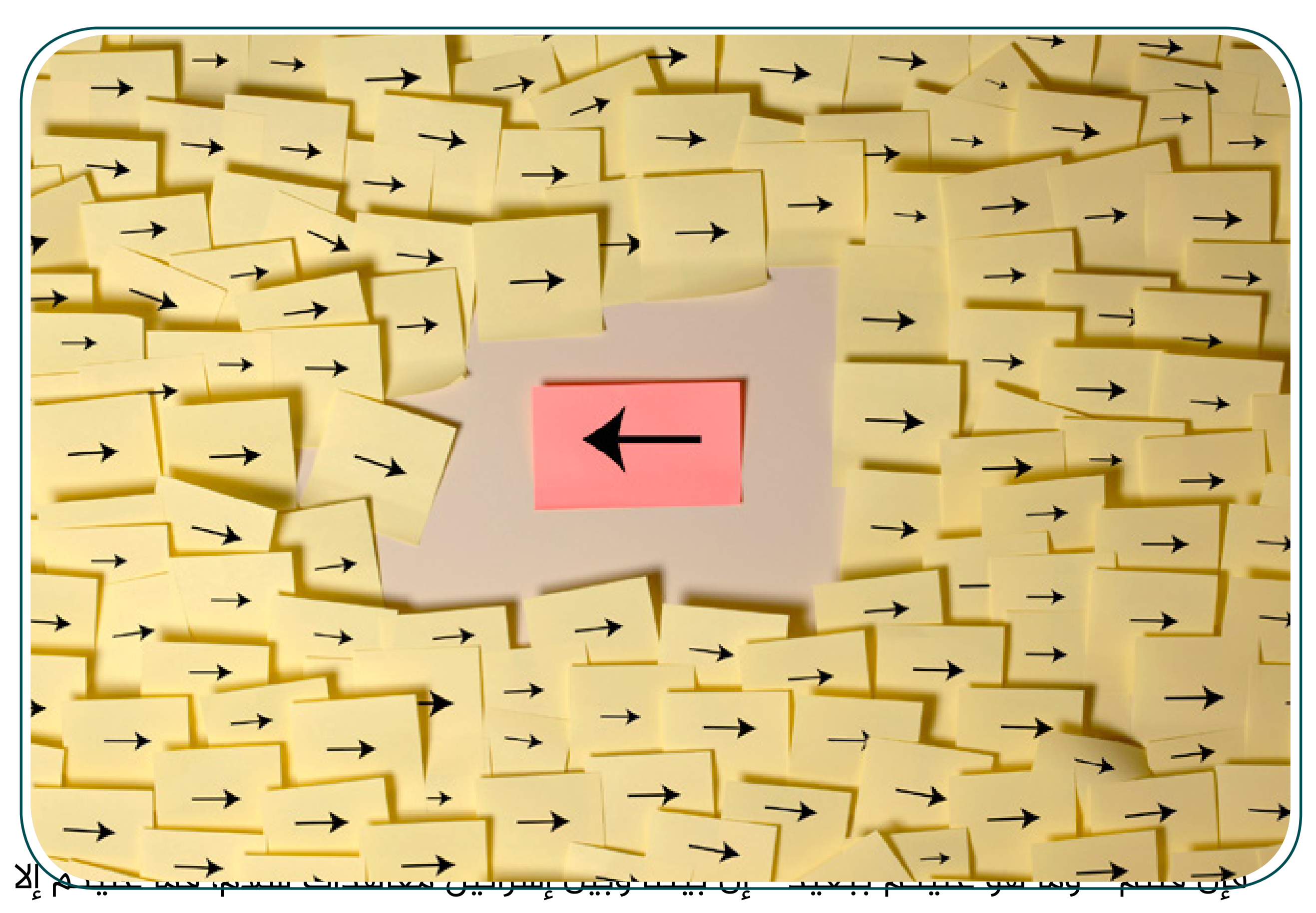
فلنبدأ معهم من الأكمة التي يقفون عليها؛ لأننا وهم نعلم جميعاً ما وراء الأكمة: فلنفترض أنَّ مواجهة حماس لدولة منظمة مدججة بالسلاح عبث ولهو؛ فما الذي فعلته الدول العربية بأسرها، ولديها من الجيوش النظامية التي تنفق على تسليحها من أقوات الشعوب ما لا تستطيع الحواسب عدَّه؟! ماذا فعلت لشعب فلسطين أو لأي شعب من شعوب المسلمين في أي أرض تذوق فيها الويلات؟! أروني جيشاً عربياً واحداً تحرك، فشرق في سبيل الله أو غرب، فإن عجزتم – وإنكم لعاجزون إلا عن الثرثرة – فرددوا واهتفوا: إنها جيوش لحماية العروش، وملء البطون والكروش.

كان يمكن أن يكون لكلامكم وجاهة لو كانت الأنظمة التي تستعبدكم في تمجيدها وتستخدمكم في تخليدها وتأبيدها تُمضي الجهاد وتقاوم المعتدين وهذه الجماعة (حماس) تَفْتَئِت على الجهاد وتَبْرُز برأسها أمام الصف، أمَّا والحقيقة أنَّ حماس وحدها هي التي تتصدى للعدو الصهيونيّ فهي الدولة، وما عداها أهرام من ورق وأصنام من روث وعلق، ولن تكون مخادناً للأحلام ولا مسافراً مع الأوهام إذا قلت: إنَّ كل هذه الأنظمة تعيش وتقتات مما تلقيه حماس من الفتات، وحاول لكي يطمئن قلبك لما تقول أن تتخيل إسرائيل بدون حائط الصد العتيد العنيد هذا؛ إنَّ كل هذه العروش وما عليها من الجحوش وجودها وبقاؤها مرهون باستمرار المقاومة الفلسطينية، فليتهم يفهمون أو يتعدى نظرهم أطراف أنوفهم!!

ثم ما هذا القلب للحقائق والأوضاع؟! ولماذا يخفضون القمة ويرفعون القاع؟! أتحاسب المقاومة على دماء أراقتها يد المحتل؟! ويُخْلَع على الغاصب الغشوم صفات الرزانة والحزم ونعوت الرسوخ والشموخ؟! ألهذه الدرجة فارقنا ثوبتنا وهجرنا قيمنا؟! إنَّ الذي يجب أن يحاسب ويؤخذ على يديه هو المحتل الغاصب،الذي تسبب في كل هذه الكوارث أولاً وآخراً؛

أولاً بعدوانه، وآخراً برده على مقاومة المقاومين لعدوانه بقتل أهليهم وذويهم، هذه مسلمة بديهية تقرها جميع الأديان والأعراف وتسلم لها كافة القوانين والمواثيق، وما قال أحد ممن يعتد بقوله في أي ملة من الملل أو أي نِحْلة من النِّحَل بأنَّ الغاصب برئ وأنَّ المقاوم متهم.

ثم أين أنتم وجميع من يقف معكم في خندق الإرجاف والتخذيل الذي لا تفارقونه حتى تفارق العاهرة مضاجع المخادنة؛ أين أنتم وهم من واجب الدفع الذي لا خلاف فيه عند أهل الإسلام قاطبة، أم إنَّ إسرائيل لم تعد عدواً محتلاً يغتصب المقدسات وينتهك الحرمات؟! قولوها بصراحة فقد قالتها مواقفكم، قولوا إنهم إخوانكم وأريحوا واستريحوا؛ فقد تعب الناس من نفاقكم والتفافكم حول رقاب الخلق بهذه الحيل اللولبية.



فإن قلتم - وما هو عليكم ببعيد - إن بيننا وبين إسرائيل معاهدات سلام، [illegible] عليكم إلا أن تراجعوا كتب الفقه في جميع مذاهب المسلمين سنيهم وشيعيهم وزيديهم وظاهريهم وإباضيهم؛ فإن وجدتم فيها - وقد وفرتها لكم في هامش المقال اختصاراً - ما يدل من قريب أو بعيد على صحة هذا الوضع الذي تسمونه معاهدة سلام فأنتم على حق ورقصكم لليهود صلاة وصمتكم عن طغاينهم صيام.

إنَّ معاهدة السلام التي تسمى في الفقه الإسلاميّ بالهدنة قد وضع العلماء لجوازها وصحتها شروطاً، لم تسعد معاهدة واحدة من المعاهدات العربية الإسرائيلية بتحقيق شرط واحد منها، أول هذه الشروط: أن تكون الهدنة خيراً ومصلحة للمسلمين؛ وبعضهم حصرها في المصلحة الضرورية، وهذا شرط اشترطته كافة المذاهب: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والزيدية والإمامية والإباضية[1]، فهل يمكن مع هذا السيل من المفاسد والمضار أن يقال إنّ في معاهدات السلام مع الكيان الصهيوني مصلحة؟!

ثاني هذه الشروط: ألا تشتمل المعاهدة على شرط فاسد، وهذا أيضا في كافة المذاهب الفقهية[2]، وقد اشتملت جميع هذه المعاهدات على شروط فاسدة تبطل المعاهدة وتنقضها من أصولها، أقلها أعظم فساداً من جميع الأمثلة التي ذكرها العلماء في المصادر التي أشرنا إليها في الهامش.

ثالث هذه الشروط: أن لا تكون الهدنة مؤبدة؛ لأنها تلغي فريضة الجهاد، وهذا شرط لم يخالف فيه أحد، إنما الخلاف وقع في مسألتين: الأولى هل يشترط توقيته بمدة محددة أم يجوز أن يكون مطلقا على ألا يكون مؤبداً؟ الثانية عند من قال باشتراط التوقيت اختلفوا في أقصى مدة للتوقيت، لكن ما قال أحد بجواز أن تكون مؤبدة قط، وعلى من ادعى ذلك أن يأتي بالدليل من أقوال الأئمة.

وأخيراً نقول لكم: وفروا حناجركم فوالله الذي لا إله إلا هو لن يتوقف الجهاد في سبيل الله ولو بلغ طنينكم في النهار ونقيقكم في الليل عنان السماء، فقد حكم الله بأنّ الجهاد ماض إلى قيام الساعة، وبأن الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وبألا يخلو زمان من الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من نبح عليها إلى أن يأتي أمر الله وهم كذلك في جهادهم وأنتم كذلك في خذلانكم.

---

(١) راجع المبسوط للسرخسي ٨٦/١٠ - درر الحكام شرح غرر الأحكام محمد بن فرموزا منلا خسرو ٢٨٤/١ - شرح مختصر خليل للخرشي (١٥٠) - أسنى المطالب شرح روض الطالب (٢٢٤/٤) - الأم محمد بن إدريس الشافعي ٢/٤ - كشاف القناع (١١٢/٣) - التاج المذهب (٤٤٩/٤) -جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، عبد الله بن حميد السالمي (ص ٦٠٣) - بدائع الصناع للكساني (١٠٨)، وأشرف المسالك (١١٣/١) التلقين (٢٣٨/١) - شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام (ص ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) راجع شرح السير الكبير (٥/ ١٧٥٠) - شرح مختصر خليل، للخرشي (ص ١٥١) -التاج الإكليل (٦٠٥/٤) - أسنى المطالب شرح روض الطالب (٢٢٤/٤) - الكافي لموفق الدين ابن قدامة (٢٣١/٤) - التاج المذهب (٤٤٩/٤) - شرائع الإسلام (٣٠٤/١).

د. ناصر العمر " مقال عالم أسير "



إرهاب مصطلح الإرهاب



في غمرة دخان هذه الحرب العالمية التي تشن على الأمة في أماكن كثيرة، كثيرًا ما يضرب بسلاح فتاك يؤثر في أبنائنا، وهو أكثر خطورة من السلاح المعروف خطره كالرصاص والقنابل وآلياتها من دبابات وطائرات.

ذلك السلاح هو سلاح الكلمة، وهو سلاح قديم، وقديمًا عرفت العرب خطره، وكثيرًا ما كان شعراؤهم يقرنونه بالسلاح، كقول حسان:

لِسـانـي صـارِمٌ لا عَيـبَ فيـهِ *** وَبَحـري لا تُكَـدِّرُهُ الـدلاءُ

ومما يروى عن ابن عباس قوله:

لبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَلٍ *** وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وهذا الصارم يطعن ويجرح ويقتل! وقد علم من الواقع أنَّ من الناس من يجرح بلسانه جروحًا لا تندمل مع الزمن، ومن الناس من يقتل بلسانه قبائل، ومن الناس من يرهب به أممًا!

ولعظم آثار الكلمات جاءت الشريعة ببيان خطرها: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالًا يهوى بها في جهنم»، كما ثبت في الصحيح(١).

وقد أدرك المجرمون أعداء الدين خطر الكلمة، وعظيم أثرها منذ العصور الأولى، لكنهم اليوم طوَّروا سلاحها على دأبهم في تطوير أسلحة الدمار الأخرى، فغدا إعلامهم الموجَّه المدروس قاتلًا للقيم محترفًا، فتّاكًا بالعقول، مدمرًا للأخلاق.

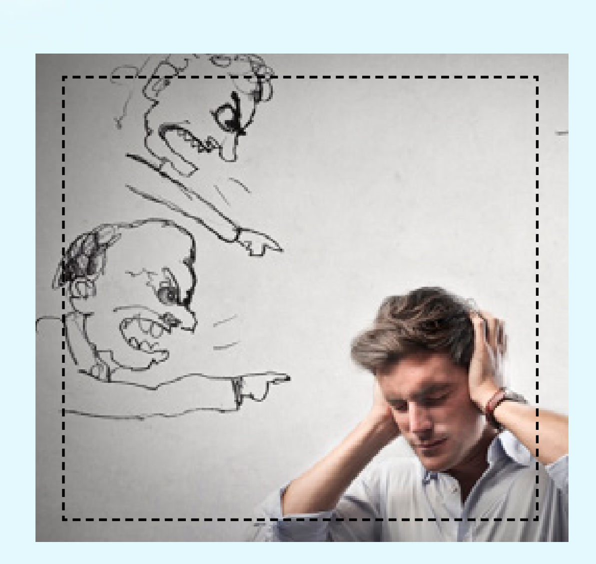
ومن جملة حرب أعداء الدين اللسانية المدروسة على القيم الشرعية حرب المصطلحات، وهي ألقاب وألفاظ يطلقونها على طريقين:

الطريق الأول

يطلقون ألفاظًا تتضمن مدلولات قبيحة، لكنهم يلبسون فلا يجردونها للحق فيفتضحوا ويُعرفوا بعدائهم للحق وأهله، وأنهم شرذمة لا تريد إلا نبذه، فيضعون تلك الألفاظ في موضعها تمويهًا أو لمصلحتهم، وفي غير مواضعها فيجعلونها ألقابًا على غير أهلها.

الطريق الثاني

يطلقون ألفاظًا تتضمن مدلولات متفاوتة فيها الحسن وفيها القبيح، فيعممون حكمها على من يصدق عليهم المفهوم المحظور، ومن يصدق عليهم المفهوم المشروع.



وقد مرّ زمان تجلت فيه الطريقة الأولى في بلدان إسلامية، فجاء وقت أصبح فيه الملتزم بالسنة يوسم بالمتطرف وينعت بالتشدد.. نعم كان هناك غلاة ومتطرفون حقيقة لكن غدا بفعل المغرضين الغلو والتطرف كالعَلَم على الجمهور الأعظم من أهل الاستقامة (المعتدلون الملتزمون بالسنن)، فلو أن أحدًا من الناس رفع ثوبه فوق الكعبين قالوا متشدد، ولو أنَّ إنسانًا أطلق لحيته عدوه متشددًا، ويخطب الفاضل في بعض بلاد الله عز وجل ابنة رجل، فيقال: «تراه متشددًا؛ يقصر ثوبه ويطلق لحيته»! كل ذلك بفعل آلة إعلامية تغريبية رسَّخَت في العقول إسقاطات خاطئة لهذا اللقب المذموم.

وفي الآونة الأخيرة تجلت الطريقة الثانية، لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، الذي كان يومًا عالميًّا لإطلاق مصطلح الإرهاب؛ يريدون به ما هو أشبه في لغتنا بالقتل والتفجير ظلمًا وعدوانًا، ثم تطورت الدلالة عند بعضهم ليصبح كل إسلامي إرهابيًّا، لا أقول في نظر هؤلاء إذ هم يكذبون ويعلمون أنهم يكذبون! لكن في نظر مسلمين!

حتى جاء وقت غدا الإرهاب فيه هاجسًا عند العامة، يرمون به من هو أهل للذم، وكذلك الأبرياء لا يميزون بفعل الضغط الإعلامي! وأذكر قبل سنوات أني حضرت لشفاعة في قضية فوجدت أمامي قضية لرجل يلبس لباسًا رياضيًّا ومعه زوجته وعليه آثار دماء وشجار، يحرر محضرًا جنائيًّا بحادثته وبلاغًا ضد معتد عليه، وفهمت أنه كان يتمشى أو يمارس الرياضة فرآه بعض من طبعت وسائل الإعلام التغريبية في مخيلتهم صورة مزورة للإرهابي! وغرست في نفوسهم فوبيا ضد مظاهر إسلامية، فلما رأى هذا يتمشى سارع بالاتصال والتبليغ عن إرهابي! ولم يكتف بذلك بل دخل في عراك معه وهو يصيح: «إرهابي إرهابي»!

" وهذه نتيجة لما تؤثره الآلات الغربية الراعية لهذا المصطلح، فقد أطلقوه كما ذكرت آنفًا على أنواع من العدوان، واستخدموا ما يملكونه من قوة سياسية وعسكرية وإعلامية ومادية لتمرير هذا المصطلح على من يشاؤون! وأرهبت الدول لتصدقه، حتى غدت تنتفض لتثبت أنها ليست إرهابية، وأنها تدين الإرهاب بكافة أشكاله وصوره! "

بل غدا الإرهاب تهمة للابتزاز فإذا أرادوا الضغط على دولة قالوا: تمارس الإرهاب، وإذا أرادوا الضغط على شخص وصموه بالإرهاب!

مع أننا لا نخالف في وجود شرذمة قليلة من منتسبي الإسلام قد وقعوا في الإرهاب المذموم المتضمن للعدوان والبغي الذي أمرت الشريعة بضده ونهت عنه كما في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْـمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل: ٩٠)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم» (٢)، إلى غير ذلك من الأدلة المتظاهرة على تحريم البغي والعدوان.



لكن هؤلاء يريدون أن يدخلوا في المعنى نبلاء شرفاء، بل أدخلوا بموازينهم المنكوسة في مسمى الإرهــــاب مــن لا يشملهم المفهوم المذموم للإرهاب في الشريعة، فأدخلوا فيه أبرياء مظلومين يحاولون رفـع الظلم النازل بهم! فكل مجاهد رافض للبغي والعدوان في ســوريــا مــثـــلًا «إرهـــابـــي» على ما يسول النظام النصيري وحلفاؤه في روسيا وإيران!

وفي مقابل التوسع في إدخال المسلمين تحت مسمى الإرهاب يخرجون أنفسهم دولًا وجماعات إرهابية، يهودية أو نصرانية أو علمانية لا دينية! وربما أدخلوا جماعات وتنظيمات غربية أو شرقية في مسمى الإرهاب هي أهل للإدخال، لكن ما يتركونه من جماعة البغي والعدوان يُشْرِعون له الأبواب أكثر، وما المنظمات الداعمة للصهيونية العاملة على حرب الإسلام، والتخويف منه إلا أنموذج صغير للإرهاب المدعوم أو المسكوت عنه غربيًّا! بينما يحاربون في بلدان المسلمين المؤسسات الإغاثية، والتعليمية أو يضيقون عليها بدعوى الإرهاب! مع أنها أبعد ما تكون عن الإرهاب، بل هي تحارب الغلو والتطرف، وتربي الناس على منهج الوسطية!

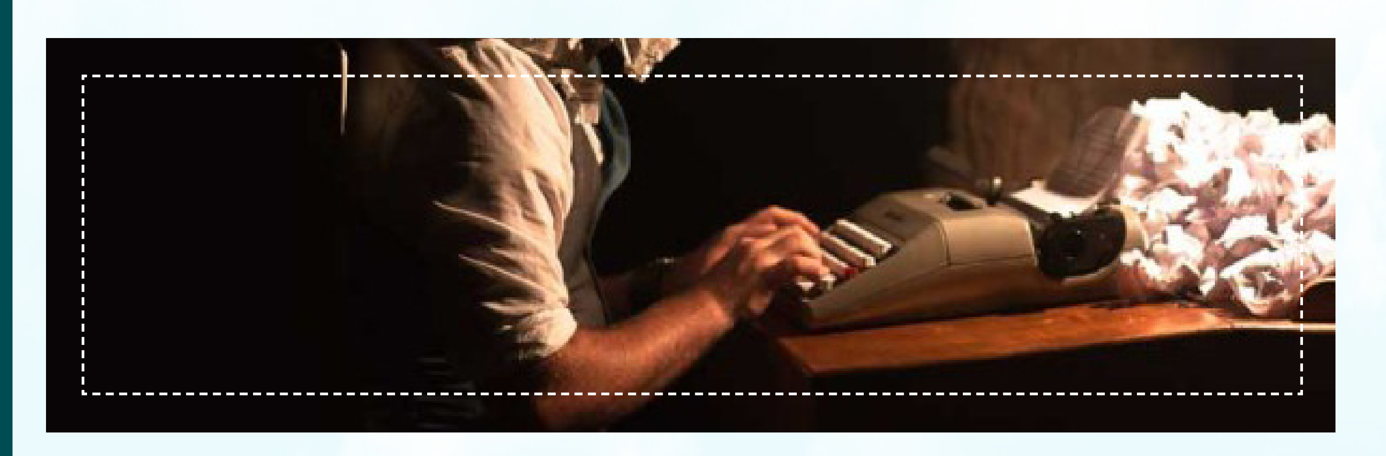
وأمر هؤلاء أشد من حال من أنكر عليه الأول بقوله:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا *** إذ عِبْتَ منهم أمورًا أنت تأتيها

كمن كسا الناس من عري، وعورتُه *** للناس باديـة، مـا إِنْ يواريـــهـا!

إن من العجائب أن يعظ شيطانُ عبدًا صالحًا! وأعجب من ذلك أن يعظ الغرب المسلمين في الإرهاب بينما قامت دولهم على الإرهاب ومارست أبشع أنواعه! وهل قامت الديمقراطيات الغربية إلا على أنقاض ما خلفه إرهاب الثورات كالثورة الفرنسية، وعلى ماذا قام الاتحاد السوفيتي ؟! من الذي أشعل حربين عالميتين أُزهقت فيها من أرواح المدنيين ملايين؟!

من الذين ابتكروا للناس الأسلحة العمياء: نووية وبيولوجية وكيميائية؟! من الذين أخرجوا للناس أسلحة الدمار الشامل والقنابل العنقودية؟! من دمر بها أفغانستان والعراق والشام؟! من الذي جاء باليهود إلى فلسطين، ثم حماهم، وأمدهم بأسلحة فتاكة، لا يزالون منذ أكثر من ستين عامًا يقتلون بها ويعذبون؟! من الذي دمَّر غزة؟! من الذي أطلق حق الفيتو لخمس دول تحمي الظلم والعدوان؟!



كم ذهب ضحيةً لذلك وغيره من المسلمين! أعداد مهولة لا نعرف تنظيمًا إرهابيًّا منتسبًا للإسلام يضاهي في إفساده ما أفسده الإرهاب الغربي والشرقي الجائر بكل معايير الفضيلة! وفي كل أرجاء البسيطة!

والواجب على المسلم أنى كان موقعه سياسيًّا أو إعلاميًّا أو دعويًّا، أن يعي ذلك، وأن لا تستخفه الدعاية المضللة، وألا يسبب له الإرهاب الغربي أو ضغطه متعدد الجهات اختلالاً في الوعي، وغبشًا في المفاهيم، فيفرق بين الباغي المعتدي من المسلمين وغيرهم، وبين المطالب بحق مشروع، فيكون عونًا للثاني، حربًا للأول، لينصلح الحال وتستقيم الأمور. والله المستعان.

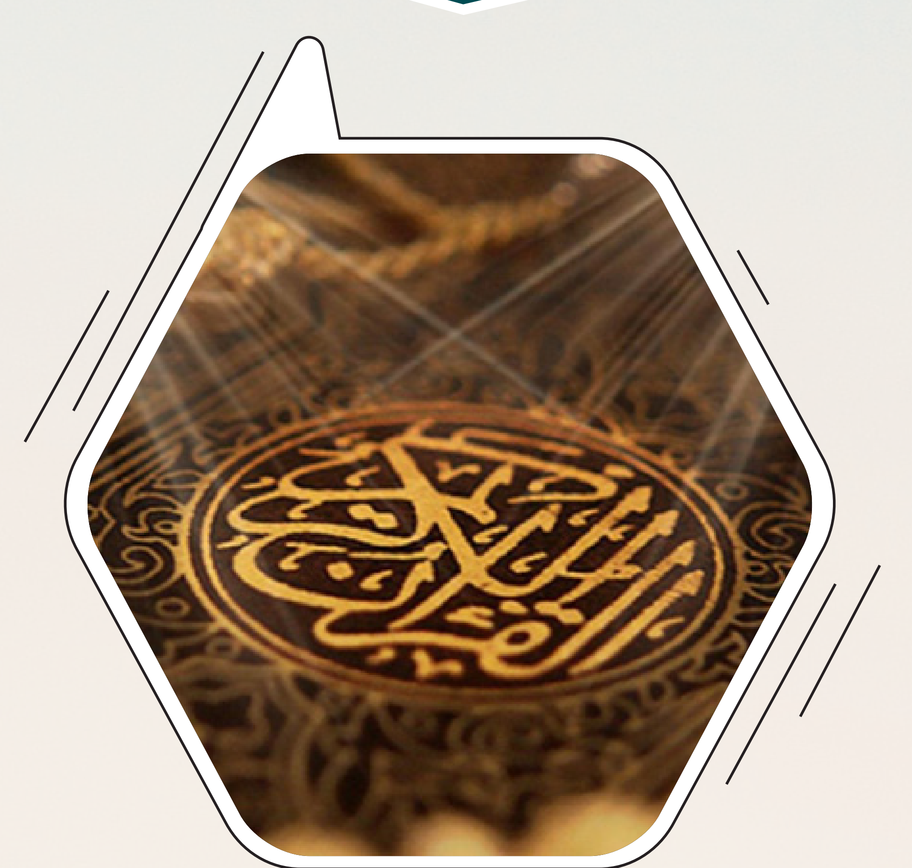
---

* نشر هذا المقال في موقع المسلم بتاريخ ٢٧ شوال ١٤٣٧ .

[١] صحيح البخاري (٦٤٧٨).

[٢] رواه أحمد في المسند ٣٨/٥، والترمذي في سننه (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، وأبوداود (٤٩٠٤)، وغيرهم، قال الترمذي: حسن صحيح، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤٩٢/٢ (٩١٨).

شتان بين الشـريعـة الإسـلامية والقوانـين الوضعيـــة



فضيلة الشيخ يوسف الدجوي*

عضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف

تعلم رعاك الله أن الشريعة جاءت بمطالب الروح والبدن جميعاً، وكفى بذلك فرقاً بينها وبين القانون الوضعي، إن القانون لا يطلب إلا حفظ النظام العام، ولا يَعنيه إلا وحدة الأمة وراحة الحكومة، ولا يهمه شؤون الأفراد الروحية، ولا من وظيفته صلاح قلوبهم، وتربية نفوسهم، ولا مراقبتهم في أخلاقهم.

وأما الشريعة فقد تكفلت بإصلاح قلوب الأفراد كما تكفلت بإصلاح الأمم، فرسمت لكل إنسان خطة واضحة يسير عليها في نفسه وأسرته وفي جيرانه وفي الناس أجمعين، وحظرت عليه أخلاقاً تعوقه عن كماله ورُقيّه إلى أحسن أحواله، فطهرته من الحقد والغل والحسد والشره وسوء الظن.... إلخ، حتى أمرته أن يُحب لأخيه ما يحب لنفسه، وطلبتْ منه أن يكون خيّراً محضاً وأن تكون سريرته أفضل من علانيته، وعلّمته أن يؤْثِر على نفسه ولو كان به خصاصة، وأمرتْه بالرحمة لكل ذي روح، وعرَّفته أن امرأةً دخلت النار في هِرة، إلى غير ذلك مما لعلك غني عن بيانه.

وإن شئتَ فألقِ بنظرك إلى ثروة أمتنا المصرية، تجدها قد ذهبتْ ثلاثة أخماسها تقريباً، فإذا بحثنا عن سبب هذا وأردنا أن نشخص الداء الذي سرى في جسم الأمة سريان السل في جسم الرجل العظيم، وجدناه راجعاً إلى عدة أمور تحرمها الشريعة كل التحريم.

* الشيخ يوسف بن أحمد بن نصر الدجوي، ولد في قرية "دجوى" بمحافظة القليوبية عام ١٨٧٠ م، التحق بالأزهر ونال الشهادة العالمية (الدكتوراه)، ثم عمل بالتدريس بالأزهر، واختير عضواً في هيئة كبار العلماء، تُوفي عام ١٩٤٨ م.

فلو أن الأمة تربتْ تربية دينية، وحافظت على شريعتها، لحفظت عليها ثروتها، ولكانت الآن من أغنى الأمم التي على وجه الأرض. فماذا أغنى عنها القانون الوضعي وقد تركت شريعتها فذهبت عزتها الحقيقية -لا الصناعية - وتضمحلت ثروتها التي هي أساس مجدها ومناط حياتها الصحيحة؟

بل يمكننا أن نقول: إن الشريعة أبلغ فيما يريده القانون أيضاً من منع الناس عن ارتكاب الجرائم والتعديات، فإن الإنسان لا يخاف القانون ولا يرهب سلطانه إلا إذا لم يكن له وسيلة إلى الخلاص منه، وما أكثر وسائل الخلاص وأقل بواعث الإخلاص!

إن مزايا الشريعة لا تكاد تحصى؛ فشتان ما بين قانون يضعه رجال لا يعنيهم إلا مظاهر الحياة المادية،، وبين قانون يضعه خالق الكون المدبر لكل صغيرة وكبيرة يكفل للناس سعادة الحياتين.

تلك القوانين تبيح الزنا وشرب الخمر والتلّهي بالميسر، وهي أمهات الشرور كلها، محافظةً على مبدأ الحرية الشخصية، وما مثلها عندي إلا كمثل من يريد أن يشرب السم فلا تمنعه محافظة على حريته فيما يريدا فهل تراك أحسنت إليه؟

تلك القوانين تمنع دروس الدين من المدارس، فأول ما تغرس في نفوس النشء بهذا العمل أن الدين محل الإهمال، فلا ينبغي أن يُعتنى به أو يُلتفت إليه، وهي طريقة عملية تترك في نفوس المتعلمين أسوأ فكرة عن الدين وأهون عقيدة فيه.

وإن أردت مصداق ذلك فانظر إلى الأمة الإسلامية في بدء أمرها، حينما كانت أعز الأمم على الإطلاق، وأرفعها على الإطلاق، ثم انظر إليها اليوم وقد تقوض بناؤها وذهب مجدها، فأصبحت تتسلى بالسراب عن الشراب وبالخيال عن الحقيقة، وبزخرف الكلام وأضغاث الأحلام عن النظر الصحيح في سُنة الله في خلقه، وما تقتضيه قوانين العالم في ماضيه وحاضره، وإن في ذلك لعبرة كبرى لذوي الأبصار وأهل الاستبصار.

أسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله ولا يعاملنا بما نحن اهله بمنه وكرمه[1].

---

(١) باختصار من مقال "الموازنة بين الشريعة والقوانين الوضعية" للشيخ يوسف الدجوي، نقلاً عن "فتاوي كبار علماء الأزهر الشريف في وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها، ط: دار اليسر، القاهرة.



فارس الميدان

د. مجدي شلش

غالب كوكب الأرض اليوم يعيش صراعاً بعضه ظاهر، وغالبه مستتر، يلبس ثوب المكر والخداع، وينتعل الديمقراطية والعدل والمساواة والإخاء. العالم الآن ميدان الذئاب والثعالب والضباع، تمرح وتلعب، تمص الدماء، وتأكل اللحوم، وتنهش الأجساد، باسم المؤسسات العالمية، والتكتلات الأممية، والأحلاف المدنية والعسكرية والاقتصادية والسياسية.

الميدان الآن يحتاج إلى فارس شجاع، وبطل مغوار، يعرف للإنسان حقه وكرامته، وللدين عزته وسيادته، وللأخلاق سموها ورفعتها، وللسجود بين يدي الله نشوته وحبه وعلوه. السجون والمعتقلات فيها من الأبطال ما تتحطم بهم الأصنام، وتتكسر بهم الأوثان، وتتبدد بهم الأوهام، سجنهم الشيطان الرجيم، والبهلوان الكبير، خوفاً من عقلهم وفهمهم وإدراكهم لطبيعة المعركة معه. حفظهم الله من شر الكيد والمكر، وفك أسرهم للزأر والصدع، فهم للأمة عنوان وفخر، والله سبحانه وتعالى بمشيئته قد ادخرهم لدينه ونصرته في موعد قريب غير بعيد.

الساحة الإسلامية فيها من الأبطال والكرام ما لا يحصى ولا يعد، الكثير منهم مدرك لحقيقة صفقة القرن، وأن الأرض تمهد لها بمكر الليل والنهار، سراً وخفية تارة، وجهاراً نهاراً تارة أخرى، لكنه يقف موقف العاجز قليل الحيلة . بعض أبطالنا يري التحدي كبيراً، والمصيبة عظيمة، ما لها في نظره من مخرج، اليأس حام حوله وقرب، والتراجع كاد منه واقترب، لا حل في نظر بعض أبطال الأمس إلا بالرضي بالواقع الذليل، حتي يحين وقت الذبح المهين للجميع.

الأمة الإسلامية كثير علماؤها وفقهاؤها في كل الميادين الشرعية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، لكنها بحاجة إلى معصم يجمعها، وفارس يتحدي بها، ومغوار يجاهر الأعداء بقوته وصلابته. فارس قلبه حديد، وعقله رشيد، وحلمه قريب، وفكره سديد، جامع للجميع، يعرف الطريق للنصر من أقرب طريق، لا مهادنة للظالم من قريب أو بعيد. ما زالت الرمزية الفردية تجري في عروقنا، وتسري بين حنايانا وصدورنا، نعم لها من الفوائد في ظهورها والتعبير عن أمتها الكثير والكثير.

فارس مهتد بالقرآن، ومستن بالنبي العدنان، ومغرم بسير الأشاوس والمغاوير الأبطال، لا يعرف الكسل أو الخوف لقلبه أو بدنه طريقاً، ميدانه الأول أن يجاهد حظ نفسه من نفسه، ثم صيحة النذير في أهله وأحبابه من أبناء أمته ووطنه، لا يقف عند حد حزب، ولا يتمحور نحو كيان واحد، الأمة كلها فوق نظره وقراءته.

قرأنا سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فتعلمنا منها القوة والشجاعة، والنجدة والنصرة، والرحمة والشدة، لا يسامح في حق من حقوق الله تعالى، ولا يجامل منافقاً أو كافراً أو مشركاً وقت الحرب والنزال، سهل لأصحابه، صعب على أعدائه .من سير الفرسان ننطلق، ومن مفاخر التاريخ في الفتوحات نقتدي، من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وخالد وعمرو والمقداد، إلى الفاتحين من ألب أرسلان وعثمان وصلاح الدين وغيرهم نتأسي .سيرتهم باقية، وروح جهادهم في فوارسنا قوية وعاتية، فلعل الله برحمته بالدنيا كلها يظهره ويهيأه، والتكليف حاضر منه أن يقوم فارس بالمهمة وعظمها، لا أقصد انتظار مهدي أو مسيح، وإنما استغزاز واستنفار لساحة الفوارس وهي بحمد الله فيها من الأبطال الكثير .

”كثير من الشباب يطالب برؤية نظرية تكون جامعة مانعة، حتى وإن وجدت فهي بدون الفوارس كليلة وباطلة. نعم لابد للأهداف أن تكون واضحة، والوسائل تكون مبدعة، لكن هل نحن جاهزون حقاً للكفاح والجهاد الحق في ميدانه الرشيد، أم الدنيا لعبت بنا نحو الجدل والتنظير؟“



تتميز الثورة الإسلامية التي نسعى إليه كأمة إسلامية بالشمول في مراحلها المختلفة، من البداية إلى النهاية، وتُعد الانتقائية هي العدو الأول للثورة قبل أعدائها أنفسهم، وهذا أمر مهم للغاية لا ينتبه إليه البعض في فورة الحماس والحرص على تحصيل نصر للأمة عاجل، وهو وإن كان شعوراً محموداً بلا شك، فإنه قد يؤدي إلى الانتقائية والقفز على واجبات الوقت.

(أ) مرحلة الإعداد

الثورة الإسلامية شاملة من ناحية الإعداد، فلا يُمكن أن تستمر التصورات الساذجة لنصرة الأمة، فمن الانتقائية في مرحلة الإعداد أن تحتكر جماعة عاملاً واحداً من عوامل النصر، وتجعله هو العامل الوحيد ولا عوامل غيره، وكل عامل غيره لن يؤدي إلى تمكين الأمة الإسلامية واستعادة مجدها.

- ففريق يرفع شعار الدعوة كعامل وحيد لتحقيق النصر، مع تفكير طوباوي تراجيدي بأن الدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ستحول الشعوب تدريجياً إلى الإيمان بالله واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم تتنزل رحمة الله تعالى ويقيم المسلمون الخلافة الإسلامية ويستعيدون حضارتهم. وهكذا يظن بطريقة مشابهة أيضاً مَن يرفعون العلم كحل أوحد، أو شعار القتال، أو شعار التفوق التكنولوجي... إلخ

- وبالطبع هذه تصورات انتقائية تتعارض مع الشمول الذي أشرنا إليه، فمرحلة الإعداد يجب أن تشمل جميع عناصر القوة، على جميع المستويات الفردية والجماعية، فكل فرد يسعى لتحصيل عناصر القوة في نفسه، من قوة إيمانية وقوة بدنية وقوة معرفية، وكل جماعة تسعى إلى تحصيل عوامل القوة لأفرادها في الجانب الإيماني والجانب العسكري والجانب التكنولوجي والجانب المعرفي، وهكذا.

فالدعوة إلى الله بدون إعداد عسكري على مستوى التثقيف العسكري ومستوى الإعداد القتالي، ستؤدي إلى تكوين مجتمع من الدجاج الذي يُجهز ليأكله الطاغية في أقرب وقت متاح.

والإعداد العسكري بدون علم شرعي ووعي سياسي، سيؤدي إلى تكوين أفراد من "البلطجية" عديمي الوعي الاستراتيجي، لكن في ثوب إسلامي، ويصبحون أشد ضرراً على الإسلام من الكفار أنفسهم.



والعِلم دون إصلاح القلوب والتربية الإيمانية، ودون الوعي السياسي بأبعاد وأركان الحرب الصليبية على الإسلام اليوم التي تقودها أمريكا وأوروبا مستخدمة المنافقين من رؤساء وأمراء الأنظمة العربية، سيؤدي إلى إفراز علماء سلطان ومنافقين يحللون ما حرم الله ويبررون للطواغيت قمعهم ويؤسلمون أنظمتهم ويخلعون عليهم ألقاباً من قبيل ولي الأمر وأمير المؤمنين.

وكثير من الثغور التي يجب الإعداد لها قد تُركت بحجة عدم الاستطاعة، حتى الجوانب المتاحة لا يُهتم بها الاهتمام الكافي، فعلى سبيل المثال يترك الشباب الذين من الممكن إعدادهم ككوادر في مجالات مختلفة دون أي مساعدة، في حين أنه من الممكن إنفاق الأموال على إعدادهم وتدريبهم في تخصصات كالإعلام والعلوم الإنسانية والدراسات الشرعية والتكنولوجيا وغير ذلك.

(٢) مرحلة الثورة

وهي المرحلة التي يسود فيها الحراك الشعبي ضد الطواغيت لإسقاطهم، بغض النظر عن شكل هذا الحراك، ولكن صفته الأساسية أن يكون حراكاً واسعاً تشارك فيه فئة كبيرة من الشعب.

وهذه الصفة مهمة لأنه لن تنجح ثورة بتحركات فردية وعمليات مسلحة متناثرة، فقتل جندي يحرس سفارة، أو قتل ضابط يضبط المرور، أو تفجير قسم شرطة، لن يؤدي إلى أي نجاح أو تمكين، بل على العكس سيكون مادة للأنظمة الطاغوتية لمزيد من القمع، إلا إذا كان في سياق القصاص من أحد المجرمين القتلة بعينه؛ فهذا شيء آخر. فالشمول هنا أذن هو شمول الحراك.



"أما شمول الثورة أثناء الحراك الواسع فيكون برفع سقف المطالب إلى أعلى مستوى ممكن، والثورة الشاملة ضد كل أركان النظام الوظيفي، وعدم الرضا بالفتات أو التوقف دون تنفيذ المطالب الثورية، والمقاومة حتى لا تخمد نيران الثورة وتبقى دوماً جذوتها مشتعلة. وذلك لأن الأنظمة القمعية تسعى من اليوم الأول إلى الالتفاف على الثورة تمهيداً لكسر عنقها، وقد قيل أنصاف الثورات مقابر الثوار."

ومن الشمول أيضاً في هذا المرحلة من الحراك، عدم الانفراد والشذوذ عن الأمة، وعدم الانعزال عن الناس بل لابد من إشراك أعيانهم في القرار، والاستعانة بقوتهم والاحتماء فيهم وبهم، وفتح العلاقات مع عوامهم وتمكينهم وتحميلهم المسؤولية الثورية، لا تكوين جماعة فئوية نقائية تضع لنفسها أسماءً غريبة على مسامع الناس، وتتبنى مطالب غير مفهومة أو فضفاضة، وتلفظ الشعب وتقصيه فيتحول إلى معاداتهم.

وتأتي هنا أهمية الخطاب الثوري في احتواء الناس وتحويلهم إلى وقود للثورة الإسلامية، ولكن دون تنازل عن الشريعة الإسلامية، ودون تبني لما تردده بعض الببغاوات من المطالب الهجينة مثل الدولة المدنية بمرجعية إسلامية أو بالليبرالية الإسلامية أو حرية المرأة بالمفهوم الغربي أو بحرية العقيدة والمساواة المطلقة بمضمونهما الإلحادي، إلى آخر هذه المطالب التي لها مفاهيم معاكسة تماماً للمفاهيم الإسلامية التي على الخطاب الثوري الإسلامي أن يوصلها للناس بطريقة ذكية وهادئة وتنطلق من العزة لا من الذل والاستحياء منها كما يفعل المنهزمون.

(٣) مرحلة الحكم

وفي مرحلة الحكم لابد من النظرة الشاملة للأوضاع السياسية المحيطة، فالبعض ينظر إلى مرحلة الحُكم على أنها مرحلة الوصول إلى المستراح وبلوغ المنتهى، ولكنها على العكس من ذلك، إنها مرحلة البلاء الأكبر، والهم الأعظم، والمسؤولية الخطيرة.

ومن أجل تلك النظرة المتساهلة للحُكم، يسارع البعض إلى القفز إليه في أول فرصة متاحة، حتى لو لم يكن متأهلاً لذلك، وهنا نستحضر الدرس القوي الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حين قال له بكل صراحة ودون مجاملات: "إنك ضعيف" وقال له عن الحُكم: "وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة".

وليس ذلك تهويناً من أهمية الحُكم في إقامة العدل والحق، بقدر ما هو تنبيه على خطورة المسارعة إلى الحكم دون استعداد كافٍ، إضافة إلى أنه ربما يكون الحُكم بداية نهاية الجماعة الثورية، ومصيدة للانقضاض عليها وقتلها. ففي حالة الثورات المسلحة تغتر الجماعة الثورية (غير المستعدة) ببريق كرسي الحكم فتسيطر عليه وتتحكم بقطعة من الأرض فتنكشف للعدو فيقضي عليها. وفي حالة الثورات السلمية تغتر الجماعة الثورية (غير المستعدة) ببريق الكرسي أيضاً فتحكم مدة من الزمان فتنقض عليها الثورة المضادة وأركان الدولة العميقة بالضربة القاضية.

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر بعد أن أخبره أنه لا يقدر على الحكم: "إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها". فإذا نظرت الجماعة الثورية نظرة شاملة فوجدت نفسها قوية وقادرة على الحكم والمحافظة عليه والدفاع عنه، فهنا الاستثناء وهنا تكون مؤهلة للحكم.

أما غير ذلك، فلا تتحمل مسؤولية خارجة عن استطاعتها ومفضية إلى تدميرها، وتحافظ بدلاً من ذلك على نفسها ووجودها كحركة قوية ثورية وجماعة ضغط يُحسب لها ألف حساب، وهذا لن يتوافر لها إلا بامتلاكها لعناصر القوة التي أشرنا إليها.





"الشمول في مرحلة الحكم أيضاً يقضي بإشراك الأمة في أمرها في الدوائر المختلفة، فالجماعة الثورية تنظر إلى نفسها دوماً على أنها جزء من الأمة، لا متعالية عليها أو في منزلة أعلى وأعلم منها، أو أنها الأولى بالمناصب، بل تولي كل منصب لأهله، وهذا لا يعني الانفتاح على أعداء الأمة من المنافقين والعملاء، بل هؤلاء لابد من إقصائهم بكل حزم مع إظهار خيانتهم وسعيهم لتنفيذ أجندات الغرب، لذلك من المهم سلفاً تحديد دوائر الاختلاف ومساحات الخلاف السائغ وسقف التوافق لتحقيق الموازنة."

كانت هذه النبذة إشـارة عابرة إلى أهمية الشمول في الفكر والتطبيق في المراحل المختلفة، وبالطبع تحتاج النظرة الشاملة إلـى مزيد من التأصيل والتدارس والتباحث، حتى لا تتكرر الأخطاء ولا تُعاد ثورة بعد ثورة.

klmtuhaq



العدد السابع عشر ، ديسمبر ٢٠١٨ | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog